الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 2

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بعنوان:

مفهوم الحرية في التربية لدى جان جاك روسو

إعداد الطالبة:

- بولنفاض خضرة

إشراف الدكتور:

* بلخضر وحيد

أعضاء لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
محمد بوشيبة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 2
بلخضر وحيد	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 2
محمود خليفة	أستاذ محاضر	مناقشا	جامعة وهران 2

السنة الجامعية: 2022 / 2023

شكر وعرفان

اللهم صلي وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : " من لم يشكر الناس لا يشكره الله"

فنحمد الله ونشكره على التوفيق لإتمام هذا العمل المتواضع

والشكر الجزيل للأستاذ المشرف السيد " بلخضر وحيد "

وإلى كافة أعضاء اللجنة المناقشة

كما نتقدم بالشكر لجميع أساتذة الفلسفة وإلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل.

إهداء

سلامي وإهدائي إلى مصدر الحياة ومنبع الحنان وعنوان الصفاء الوالدين الكريمين اللذان كانا سندا لي طيلة مسيرتي وسهرا من أجل تحقيق سعادتي.

تحياتي إلى إخواتي الذين دعموني في مختلف محطات مشواري

وأخيرا سلامي إلى أختي العزيزة

رفيقة دربي وسند حياتي.

الفهـــرس

مقدمـــة .....أ

الفصل الأول : الاتجاه الفكري والفلسفي لدى روسو وأهم تصوراته

المبحث الأول:

السيرة الذاتية والفكرية لدى روسو 7

المبحث الثـاني:

تصورات جان جاك روسو الفلسفية وأبرز مجالاته 19

المبحث الثالث:

مكانة الإنسان في فلسفة روسو.....28

نتائج الفصل الأول 34

الفصل الثاني :مكانة الحرية في التربية لدى جان جاك روسو وتأثيراتها في المجتمع الإنساني.

المبحث الأول:

فلسفة التربية عند روسو وموقع الحرية ضمنها 36

المبحث الثاني:

تداعيات الحرية وتطبيقاتها على المجتمع الإنساني 51

المبحث الثالث:

تأثيرات فلسفة جان جاك روسو التربوية 59

نتائج الفصل الثاني.....64

الخاتمة 65

قائمة المصادر والمراجع

مقدمـــــــــــــــة

اشتهرت الفلسفة الغربية الحديثة بطابعها النقدي للأسس والنظم التي كانت باسطة سلطتها في العصر الوسيط، فقد تميز العصر الحديث بإنارة العقول وتحرير فكرها من القيود التي فرضتها السلطة الدينية في مرحلة ما قبل التنوير وهذا ما أدى لتحرير المجتمع الأوروبي وظهور طبقة المفكرين الذين بحثوا في خبايا الوجود الانساني وكل القضايا التي كانت تشغله، والقضاء على البدع والخرفات التي تحمل الطابع الديني، وتبديلها بمبادئ وتصورات جديدة، ولإحداث هذا التغيير كان لا بد البدء من لبنة المجتمع وهي التربية والتي أخذت حيزا كبيرا من فكر جان جاك روسو المفكر الفرنسي الذي جاء بنظام تربوي جديد يحمل قيما إنسانية مهمة أساسها الحرية. فقد عمل روسو على ربط الحرية بالتربية في مشروعه التربوي وجاء هذا الإصلاح نتيجة الظروف الصعبة التي عاشها مجتمعه من ظلم واستبداد وانتشار الفساد، فبإصلاح التربية يصلح المجتمع، ولم يراعي روسو الجانب التربوي فقط في مشروعه بل اهتم بالجانب السياسي والاجتماعي والديني أي كل ماله علاقة بالإنسان.

إن فكر روسو كان يصب لصالح تحقيق المصلحة العامة عكس ما سبقه، وهذا ما جعله يقوم بنقد النظرية التقليدية الكلاسكية بحيث أن مناهجها التربوية كانت بعيدة كل البعد عن مبادئ الطبيعة والروح الإنسانية، فقد اكتفت بتقديم المعرفة النظرية، وهذا ما دفع روسو لتأسيس مشروع تربوي يستمد أسسه من قوانين الطبيعة.

تعتبر الطبيعة المصدر الأساسي في فلسفة التربية لدى روسو الذي آمن بالمعرفة التطبيقية المباشرة بدون أي وسيط وبذلك يكون قد وضعها في قالبها الصحيح.

لذا نجد فلسفة روسو ترتكز على الجانب المعنوي للإنسان أكثر من المادي وهي تعنى بدراسة الإنسان دراسة طبيعية، كما عملت على ربط الطبيعة بالوجود الانساني. وجاءت بمفاهيم وتقنيات تربوية سعت لتطوير الفكر التربوي وإصلاحة وبالتالي حدوث الإصلاح السياسي والاجتماعي. ولتحقيق هذه الغاية كان لا بد من وجود مبدأ الحرية. انطلاقا مما تقدم وجب علينا طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت نظرية الحرية في التربية لدى جان جاك روسو في خدمة الإنسانية؟ وضمن هذه الإشكالية تندرج مجموعة من المشكلات منها: ما موضع الحرية في تربية روسو؟ وما هي أبرز تداعياتها على الفكر التربوي؟ وللإجابة عن هذه المشكلات قمنا باعتماد الخطة التالية:

الفصل الأول كان لا بد من تسليط الضوء فيه على حياة روسو لأنها ساهمت في بناء شخصيته وتحديد تصوراته وأفكاره الفلسفية، كما أنه لم يفتنا ذكر حياته الفكرية وأبرز مؤلفاته في مختلف المجالات، والتي كانت تحمل أفكار وآراء جديدة، سعى إلى تكريسها وتفعيلها داخل مجتمعه. ليتم التطرق فيما بعد إلى أهم المواضيع والقضايا الفلسفية التي عالجها جان جاك روسو، وإلى اكتشاف مكانة الإنسان وموقعه ضمن فلسفته الخاصة.

أما **الفصل الثاني** فقد تناولنا فيه مفهوم التربية عند روسو، ونظامه التربوي الحديث، وقمنا فيه بإبراز مكانة الحرية في فلسفة التربية لديه، كما أبرزنا تداعيات الحرية وتطبيقاتها على المجتمع الإنساني، بالإضافة إلى التطرق لأهم الفلاسفة المتأثرين بفلسفة روسو.

لكي نحيط بجميع هذه العناصر اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في وصف الأحداث وتحليل أبرز نصوص روسو في كافة الجوانب سواء الاجتماعية أو السياسية أو التربوية.

الهدف من الدراسة.

- الوصول للحلول لمعظم التساؤلات التي شغلت فضولنا والتي يعتريها الكثير من الغموض.
- التعرف أكثر على مفهوم الحرية والعلاقة التي تربطه بالتربية.
- تعلم الإنسان قوانين الحرية.

أسباب اختيارنا الموضوع

الذاتية:

- الرغبة في معرفة خبايا المجال التربوي واكتشاف الكثير من الجوانب الغامضة والتطرق لها إضافة إلى محبة هذا المجال والسعي للعمل فيه.

الموضوعية:

- استكمال حلقات البحوث وتسليط الضوء على بعض النقاط الغير الواضحة وبناء قاعدة من البيانات على أصعب إشكالية على مر التاريخ وهي الحرية، خصوصا اذا ارتبطت بالتربية التي تعتبر عماد المجتمع. وتقديم أبرز الاستنتاجات حول هذا الموضوع.

– البحث عن الحقيقة وكيفية الوصول إليها بالإضافة إلى تفسير كل ما يقف وراءها وهذا للكشف عن اللبس الذي يعتريها، ناهيك عن القيمة الكبيرة التي يمثلها هذا الموضوع في ميادين البحوث الاجتماعية.

أما عن **الصعوبات** التي واجهتني أثناء انجازي لهذا العمل فيمكن حصرها في قلة توفر المصادر المترجمة على المنصات الالكترونية، وتعقيد المصادر الأصلية بلغتها الأجنبية.

الفصل الأول:

الاتجاه الفكري والفلسفي لدى روسو وأهم تصوراته

تمهيد:

يعتبر عصر التنوير من أبرز مراحل نضج الإنسان وخروجه من القصور العقلي وتحرره الفكري، واتخاذ العقل كمرجع أساسي للفصل في مختلف المسائل المعقدة، ومصدرا لممارسة النقد، كما ساهمت الحركة الفكرية التنويرية في إلغاء سيطرة الدين على الدولة، وقد جاءت هذه الانتفاضة كنتيجة انعكاسية لما عاشته المجتمعات الأوروبية من اضطهاد واستعباد تحت سيطرة رجال الدين؛ الذين يملكون القوة والسلطة في تشريع كل الظواهر إلى غاية القرن الثامن عشر، والذي عرف بعصر الأنوار الذي فُتحت فيه أفاق جديدة في الفكر الأوروبي؛ مما أدى إلى تطور كبير في شتى المجالات، وإلى اكتساب الحق في طرح الأفكار ومناقشتها وإبداء الآراء الفلسفية بكل حرية. ومن أبرز مفكرين عصر الأنوار جان جاك روسو، هذا المفكر الذي جاء بأفكار ساهمت في تغيير أسس ونظم مجتمعه، كما عملت على تحرير الفكر الإنساني بواسطة مؤلفاته المختلفة في كافة المجالات التي تخص الإنسان.

المبحث الأول: السيرة الذاتية والفكرية لدى روسو

سنتطرق في هذا المبحث لحياة روسو وكذا أهم أعماله الفكرية والفلسفية

أولا : حياتـــــه

جان جاك روسو كاتب وفيلسوف ولد في 28 يونيو 1712 في جنيف بسويسرا، كانت أسرته من أصل فرنسي بروتستاني، توفيت أمه بعد ولادته بثمانية أيام وتركته لينشأ في كنف أبيه إسحاق صانع الساعات[1] الذي غرس فيه حب المطالعة والقراءة، كان الأب دوما يقرأ له قصص المغامرات حتى أصبح روسو مغرما بها، واكتسب حدقا بالغا في القراءة والفهم[2].

بعد مهاجرة الأب من جنيف عاش روسو حياة قاسية وغير مستقرة مليئة بالمغامرات والتجارب الفاشلة إلى غاية سفره لفرنسا، في هذه الفترة من إقامته بفرنسا كان يتردد دائما على الكنيسة ويقرأ العديد من الكتب وينتقد بعناية، كما أجرى تجارب علمية وملاحظات فلكية، وفي الموسيقى درس أعمالا عالمية قام بتدريس وظائف السيكيراتية الموسيقية وتعلم الفنون الدرامية.

عمل روسو بعدها أمينا للسفير الفرنسي بالبندقية لكنه لم يستقر في عمله لتعرضه لبعض المضايقات من رئيسه واعتزل فيما بعد، شارك روسو في مسابقة نظمتها أكاديمية ديجون لكتابة مقالا يجيب على السؤال التالي: هل تقدم العلوم والآداب يؤدي لإفساد

[1] نجيب المشكاوي: جان جاك روسو حياته مؤلفاته وغرمياته، دار الشروق. القاهرة مصر ط1 1989 ص7

[2] سعيد رضا مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو مجلة الرواق للدراسة، العدد 02 بوزريعة الجزائر 2021 ص 108.

الأخلاق أم لإصلاحها؟ فتقدم بمقال معنون "بحث علمي في العلوم والفنون " ففاز بالجائزة الأولى وحاز على شهرة كبيرة أقحمته في مجال الفلاسفة والمفكرين[1].

تعد هذه المشاركة الانطلاقة الفعلية للمسار الفكري لدى روسو والنقطة التي غيرت وجهته وحياته.

ألف روسو العديد من الأعمال وبرزت أفكاره في عصر التنوير ونظرياته في التعليم والدين وكانت مؤثرة ومثيرة للجدل، فبعد ثلاثة مئة قرن ما زالت أفكاره موضع نقاش العالم. تلك الأفكار التي هزت المجتمع الأوروبي، وساعدت فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية، فقد ألهمت خاصة العقد الاجتماعي العديد من الإصلاحيين السياسيين في أوروبا وأمريكا، مما أدى إلى اندلاع الثورات وتغير التصورات الفكرية، وبالرغم من غزارة أعماله إلا أنها لم تعرف رواجا كبيرا إلا بعد وفاته. وفاته التي اعتبرها الكثير من الغموض حيث اعتقد البعض أنها نتيجة مؤامرة إلا أن البعض اعتبر أنها كانت نتيجة جلطة دماغية وقعت له، وقضى روسو آخر أيامه في الريف بعيدا عن الشهرة[2]...

[1] نجيب المشكاوي : جان جاك روسو حياته مؤلفاته وغرمياته مرجع سابق ص 117

[2] سعيد رضا مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو مرجع سابق ص 110

ثانيا : سيرتــه الفكريــة

كان لرسو مجموعة من الأعمال والإنتاجات الفكرية في مختلف المجالات نتج عنها رصيد فلسفي ثري امتاز بحمله لبصمته الخاصة وبأفكاره المختلفة ذات طابع خاص به.

يمكننا التعرف على هذه الأعمال والمؤلفات حسب التخصصات التي اهتم بها والتي يمكن تحديدها فيما يلي:

1 – مؤلفات روسو السياسية

1-1 العقد الاجتماعي:

كتاب من تأليف جان جاك روسو تم نشره سنة 1712 بمدينة أمستردام يحتوي على 125 صفحة ترجم إلى العديد من اللغات منها اللغة العربية، يتضمن أربعة محاور أساسية، وأطلق عليه اسم إنجيل الثورة الفرنسية. يعد هذا العمل النقطة الفارقة التي غيرت أسس الفكر السياسي الأوروبي.

أكد فيه روسو على أهمية حرية الشعوب في تقرير مصيرها وعلى وجوب عقد بين الحاكم والمحكوم والأفراد فيما بينهم، وتعتبر هذه الطريقة هي الوحيدة التي تتيح لكل إنسان الشعور بأنه حر متمتع بكامل حقوقه في مجتمعه[1].

يمكن اعتبار هذا العقد بمثابة التزام جماعي تمت الموافقة عليه بواسطة الاتفاق لا بالقوة، ذلك أنه لا يوجد قانون الأقوياء في المجتمع بل قانون يجعل الناس متساويين وبهذا

[1]جان جاك روسو: العقد الاجتماعي، ترجمة : عادل زعيتر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان ط2، 1995، ص 32.

الموجب يتنازل الناس عن جزء من حريتهم مقابل أن يقوم القانون بحمايتهم، فيتم اكتساب الحرية المدنية وبالتالي تحقيق المنفعة العامة[1].

يكون الاتفاق بين جميع الأفراد بالإرادة لا بالفطرة واستمرار المجتمع يكون رهين هذا الاتفاق.

ينتج عن هذا الاتفاق سلطة سياسية شرعية يكون فيها الحكم المطلق يعبر عن الإرادة العامة التي تهدف إلى صالح العام وبذلك تتجسد المساواة الأخلاقية الشرعية[2]، فالإرادة العامة يتألف منها كيان الشعب وتعتبر السلطة الشرعية الوحيدة الغير مقيدة في الدولة؛ أما الحاكم العام هو وكيل أنابه الشعب ليمارس السلطة ويشرف على تنظيم الحريات ويحرص على تمتع الأفراد بها، يؤكد روسو على أن السيادة والسلطة من حق الجماعة ككل؛ ولتكون الإرادة العامة فعليّة وحقيقية لابد أن تأتي من الجميع وتطبق على الجميع؛ فيكون القانون قابل للتطبيق بشكل عام؛ فلا يجوز للقانون أن يُعنى بأشخاص معنيين بل يجب أن يطبق ويعم على كل فرد داخل الدولة وعلى هذا الأساس يفضل المواطنون القوانين التي تضمن المصالح المشتركة بطريقة عادلة ولا تخلق أعباء ذلك لأن المواطنين يسترشدون بمصالحهم الخاصة عندما يكون المجتمع منظم بصورة جيدة بحيث لا تتعارض الإرادة الخاصة مع العامة تتحقق المساواة وتتجسد العدالة.

[1] جان جاك روسو: العقد الاجتماعي ، ترجمة عادل زعيتر، مصدر سابق، ص35.

[2] المصدر نفسه ص 56.

1-2 أصل التفاوت بين الناس

كتاب من تأليف جان جاك روسو تم نشره سنة 1755 يحتوي على 167 صفحة، يفحص روسو في هذا العمل مفهوم اللامساواة البشرية وأصولها .

يفترض روسو أن أصل التفاوت بين البشر يكمن في تقدم المجتمع وظهور تقسيم العمل وهنا بدأ الأغنياء والأقوياء في السيطرة على الفقراء واستغلالهم مما أدى إلى عدم المساواة، بينما الحالة الطبيعية هي خيرة في الأصل، شبه روسو النفس البشرية بتمثال غلوكوس الذي بلغ من التشويه يفعل الزمن والبحار والعواصف ما صار معه يماثل حيوانا ضاربا أكثر من أن يماثل إلاها، وهذا دليل على أن البشر في الحالة الطبيعية كانوا يمتازون بالفضيلة إلا أن مع مرور الزمن وتطور المجتمع ظهرت الكثير من المساوئ والفوارق[1].

يتطرق هذا العمل أيضا إلى تطور اللغة ودور القوانين والمؤسسات وتأثير المجتمع على طبيعة البشر بصفة عامة يقدم روسو منظورا نقديا حول التطور البشري وتأثيره على الهياكل الاجتماعية والسياسية التي تشكل حياتنا، ويصف روسو نوعان رئيسيان من عدم المساواة.

أولا: الطبيعية وهي الاختلافات في القدرات الجسدية والعقلية والمواهب الموجودة بين الأفراد.

[1] جان جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، ترجمة: عادل زعيتر مؤسسة الهنداوي للثقافة والتعليم القاهرة، مصر،ط 1 2012 ص 23

ثانيا: السياسية تقوم على متعة البعض على إجحاف الآخرين كثراء وتزغ الطاعة أي في سلطة الأقوياء على الضعفاء[1].

يعتقد روسو أن عدم المساواة الطبيعية هي جانب ضروري للمجتمع البشري وأن من المستحيل القضاء عليه تماما ومع ذلك هذا النوع من عدم المساواة لا ينبغي أن يكون أساس عدم المساواة السياسية والاجتماعية. يمثل اختراع الملكية بداية عدم المساواة الأخلاقية واعتبر اللامساواة غير مرتبطة بشكل أو بأخر بالطبيعة الإنسانية؛ يرى روسو أن المجتمع غير متكافئ ويسوده الاستبداد والحكم الجائر عندما تصبح الثروة هي المعتاد التي تتم من خلاله المقارنة يصبح الصراع والاستبداد يطغى على المجتمع[2]. هكذا سعى روسو من خلال هذا العمل إلى الدفاع عن العودة إلى نظام اجتماعي أكثر مساواة وعدالة لتجنب تلك المظاهر التي تمثلت في قيود واستغلال الضعفاء من قبل الأقوياء التي سادت في المجتمع الأوروبي، كما يؤكد روسو في كتابه هذا على التوزيع العادل للثروة وبالتالي القضاء على الطبقية وتحقيق المساواة. ويهدف إلى الحفظ على كرامة الأفراد وحقوقهم.

[1] جان جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، المصدر السابق، ص29.

[2] نجيب المشكاوي: جان جاك روسو حياته ومؤلفاته وغرمياته، ص152

2- مؤلفات روسو الاقتصادية

2-1 خطاب في الاقتصاد السياسي

في هذا العمل مثل روسو الجسد السياسي بشكل فردي كجسم حي منظم والاقتصاد هو القلب النابض له.

اعتبر روسو أن التجارة والزراعة والصناعة مع الكفاف المشترك، أما المال العام فهو نتاج الاقتصاد الحكيم بينما المواطنين هم الآلة المحركة للاقتصاد بشكل عام[1]

وينقسم الاقتصاد إلى شقتين:

أولا: الاقتصاد الاستبدادي:

عندما تكون للحكومة والشعب مصالح مختلفة وبالتالي تتعارض مع الإرادة.

ثانيا: الاقتصاد الشعبي:

وهو وجود وحدة مصالح وإرادة بين الشعب والقادة وهنا يتم إتباع الإرادة العامة فيقول روسو إذا كان الواجب الأول للمشرع هو مطابقة القوانين الإرادة العامة فإن القاعدة الأولى للاقتصاد العام في أن تكون الإرادة متوافقة مع القوانين[2].

[1] جان جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق، ص94

[2] المرجع نفسه 93

3- مؤلفات روسو في التربيــة:

3-1 إيـميـل

قسم روسو عمله إلى خمسة أجزاء لشرح مراحل التربية:

- الجزء الأول: من الميلاد إلى غاية خمس سنوات، يتكلم عن الحياة الجسمية والمهارات الحركية.

- الجزء الثاني: من خمس سنوات إلى اثنا عشر سنة يؤكد على كيفية تنمية الحواس بكل حرية دون تدخل المربي.

- الجزء الثالث: من اثنا عشر سنة إلى خمسة عشر سنة - أهمية تعزيز المهارات العقلية والاجتماعية وتحقيق مبدأ المنفعة.

- الجزء الرابع من سن خمسة عشر سنة إلى غاية عشرون سنة يتناول أهمية العلاقات الاجتماعية وتنوعها.

- الجزء الخامس: يتحدث عن كيفية تربية المرأة والتي مثلما بشخصية صوفيا[1].

لقد عبر روسو في هذا العمل على رفضه للأساليب التربوية التقليدية التي تعتمد على العقاب والمكافآت وبدلا عن ذلك يدعو إلى نظام تعليمي يعزز الإبداع والاستكشاف والاعتماد على الذات.

[1] سعيد رضا مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر، جان جاك روسو - مرجع سابق مى 114

4- مؤلفات روسو الدينية واللاهوتية

4-1 دين الفطرة أو عقيدة قس في جبل السافوا

ويتحدث هذا العمل على قس مر بتجربة مغايرة رسم فيها لنفسه عقيدة صادقة واستقرار مجتمعي وقدم مجموعة من التوصيات إلى شاب بحيث تهدف هذه التوصيات إلى إنارة العقول، كما انتقد الفلاسفة الماديين الذين يزعمون أن الطبيعة تحكم نفسها وأكد على دور الإله في تنظيم البشر[1].

يدور هذا الكتاب بشكل أساسي حول توظيف الإيمان لخدمة النفس، توظيف الدين لخدمة المجتمع وتوظيف المجتمع لخدمة الفرد، كما جاء بمجموعة من الأفكار الأساسية تنظم تحت سياق الفلسفة وعلى رأسها الضمير والاله وحكمته وأنه هو الذي يسير الخلق بأكمله، كما أكد على أن الضمير هو الحال لسلوك البشر وأنه يَوجِهُهم وينهيهم عن الشر ويجعل الإنسان يختار سلوكه وأفعاله. فالإنسان طالما حفظ على فطرته وطبيعة عاش سعيدا[2]

[1] جان جاك روسو دين الفطرة – ترجمة عبد الله العروي المركز الثقافي العربي دار البيضاء المغرب ط ،1 2012 ص 59

[2] بن صابر محمد، بن حليم شوقي للإنسان عند جان جاك روسو مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية العدد 02 كلية العلوم الاجتماعية وهران 2021 ، ص627.

5- مؤلفات روسو في علم اللسانيات

5-1 محاولة في أصل اللغات :

يوضح روسو بأن البشر الأولين تحدثوا بالإشارة لأنها أيسر من الكلام وأقل خضوعا للموضوعات، ولأن الأشكال أكثر تنوعا من الأصوات، كما أنها أدق تعبيرا وأكثر إيحاء في وقت أقل. ولكن كان على اللغة الظهور للتعبير عن الحاجات الأخلاقية والأهواء البشرية يقول روسو "**إن ما تراه من الإشارات يزيد من دقة المحاكاة ولكن إثارة الاهتمام أنجع بالأصوات، ذلك ما يجعلني أعتبر أنه لو لم تكن لنا قط غير حاجات طبيعية لأمكننا أن لا نتكلم أبدا وأن نتفاهم على التمام مجرد لغة للإشارة**"

إن الكلام أول مؤسسة اجتماعية، فيما أن الإنسان كائنا حاسا ومفكرا فإن الشوق وحاجة إبلاغه لمشاعره وأفكاره إلى البحث عن وسائل لذلك الإبلاغ ومده الوسائل لا تستمد من غير الحواس، إذ هي الآلات الوحيدة التي يمكن بها للمرء أن يؤثر في غيره. والعلامات الحسبة توظف للتعبير فاللغة هي التي تعبر عن الفكر[1].

[1] جان جاك روسو – محاولة في أصل اللغات . ترجمة محمد محبوب: دار النشر للثقافة العامة بغداد العراق ط1 1984 ، ص27.

ينهي روسو مجموعة مؤلفاته الكثيرة والغنية به الأفكار المثيرة في شتى التباين والتخصصات والتي أدت إلى تغيرات جذرية في المجتمع الأوروبي بعمليتين مهمتين يحملان سيرته الذاتية وهما:

1- كتاب الاعترافات:

هو كتاب السيرة الذاتية يروي فيه روسو سنين حياته والتوخي بكل أسراره فقد وثق روسو أحاديته وأحاسيسه الدافئة في جميع المواقف التي واجهته حين راح المرض النفسي والجسمي.

يشتد عليه معا كما دونى بكل المجريات التي مر بها بكل شفافية ووضوح وبرز موافقة وشرح خلفيات أخطائه في حق نفسه وفي حق الآخرين، فلم يشأ تغليف الحقيقة بأي زينة، يقول روسو "**إنني مقدم على مشروع لم يسبقه مثيل، ولن يكون له نظير، إذ أنني أبغى أن أعرض على قرائي إنسانا في أصدق صور طبيعته، وهذا الإنسان هو: أنا .... أنا وحدي فأني أعرف مشاعر قلبي وكذلك أعرف البشر ....**"[1]

لقد كان لاعترافات روسو صدى كبير على مجتمعه وقد أسست للسيرة الذاتية الحديثة وكانت مصدرها الأول.

2- كتاب أحلام اليقظة لجوال منفرد

[1] جان جاك روسو، اعترافات – ترجمة مراد حلمي – دار البشير للنشر ط1 دمشق سوريا 1997،ص10.

إن هذا العمل آخر ما كتبه روسو وجمع فيه جوالاته وقد حمل جزء كبير من حياته الشخصية.

وهو عبارة عن عدة جولات متفرقة وهي مرتبطة بشخصية الكاتب روسو والذي عبر عنها على شكل روايات وحملت عدة شخصيات روى من خلالها جوانب حياته محاولا استعراض نجاحه وشهرته وكذلك غموره وفشله وتخبطه بين السعادة والتعاسة.

وقد أعطى انطباعا بوجود بطلا رومانسيا منبوذا اجتماعيا وهنا ظهر التشابه الظاهري بين بطل الرواية والكاتب روسو[1].

يعد هذا العمل انعكاسا لحياة، روسو وأفكاره بكل تفاصيلها إذ كل ما مر به جان چاك روسو في حياته من أحداث وتجارب ومغامرات ولدت عند أفكارا مختلفة ومثيرة للجدل وأعمالا ذات وزن غيرت أسس ومبادئ، النظام الأوروبي. وهذا ما جعل اسم روسو مميزا من بين كتاب لا فلاسفة عصره.

[1] جان جاك روسو: أحلام اليقظة لجوال منفرد، ترجمة ثريا توفيق المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، ط2، 2009، ص135

المبحث الثـــاني: تصورات جان جاك روسو الفلسفية وأبرز مجالاته

لقد كان جان جاك روسو باحثا جادا ومفكرا متمرسا، وهو ما جعله يحمل لقب فيلسوف عن جدارة، لأنه لم يترك باباً من أبواب البحوث الاجتماعية والإنسانية إلى وطرقه، مستهدفا في ذلك خدمة المجتمع الأوربي والمجتمع الإنساني قاطبة، وسنحاول في هذا العنصر ابراز أهم المجالات والمواضيع التي عالجها روسو وخصها بكثير من البحث والاطلاع.

أولا : مجالات البحث الفلسفي لدى روسو

1- الطبيعة البشرية:

تعد هذه المسألة من أبرز الإشكاليات التي يعالجها جان جاك روسو فقد أكد على أن الطبيعة الانسانية خيّرة وأن فطرة الإنسان مصدر الخير كله، كما آمن روسو بالإنسان الطبيعي الأول المتوحش لما يمتلكه من قيم تؤطرها فطرة سليمة وامتيازه بفضائل الطبيعة. قام روسو بمقارنة الإنسان بالإنسان الطبيعي لإظهار ما كان عليه الإنسان في الحالة

الطبيعية وما أصبح عليه في الحالة المدنية. ذلك أن الحالة الطبيعية التي نشأ فيها الإنسان الأول في نظر روسو كان فيها أسعد حالاً وأكثر انسجاما مع الطبيعة[1].

لقد أكد جان جاك روسو على ضرورة ربط الحالة الطبيعية بالنواحي الاجتماعية والقواعد السياسية حيث يقول روسو "**ولكننا ما ذمنا على جهلنا بمعرفة الانسان الطبيعي فمن العبث أن نحاول تحديد القانون الذي استمده هو من الطبيعة أو ذلك الذي يلائم تكوينه أكثر من غيره؛ وكل ما يمكننا أن نراه في موضوع هذا القانون هو أنه يجب لكي يكون قانونا ليس فقط أن تستطيع الإرادة الملزمة به تخضع له هي تدركه بل يجب أيضا لكي يكون هذا القانون طبيعيا أن يتكلم بصوت الطبيعة**"[2]

يُفهم من هذا أن الانسان الطبيعي يمتاز بالصدق، فلا شيء يخرج من الطبيعة هو صادق، كما أنه ليس بحاجة للآخرين فهو يتغذى من الأشجار ويشرب من نبع المياه: ولا يحتاج لطبيب، كما أنه لا يستغل الآخرين ولا يفرض قوته وسلطته عليهم، فهو دائما يعود إلى الضمير الذي يصفه روسو بأنه صوت الإله. الإنسان في حالته الطبيعية يتمتع باستقلاليته وحريته عكس الإنسان المدني الذي فرضت عليه القيود وتم استغلاله بسب تقسيم الثروات الغير العادل ونتج عن ذلك انتشار الاستبداد والفساد وبالتالي فقدان الانسانية ولهذا يوصينا روسو بالعودة إلى الفطرة والحالة الطبيعية التي يسودها الخير والسعادة والأمان.

[1] بن صابر محمد بن حليلم شوقي: الإنسان عند جان جاك روسو، المرجع السابق، ص 622

[2] بن صابر محمد بن حليلم شوقي: الإنسان عند جان جاك روسو، المرجع السابق، ص 624

2- أصل اللغات:

أحدث روسو ثورة في مجال المعرفة اللسانية كما أجرى حركة استبطانية على تاريخ المعارف اللغوية وخبايا التاريخ اللغوي لإدراك العالم الإنساني من جهة، وإبراز خصائص تفكير الإنسان في أدائه الكلاميّة عبر الحقب التاريخية من جهة أخرى، كما أكد روسو على أن الإشارة هي أول ما تحدث به البشر فيقول: " **لغة الإشارة أقل خضوعا للموضوعات؛ فإن ما يمثل إلى أبصارنا من الأشياء أكثر مما يبلغ منها إلى مسامعنا والأشكال أكثر تنوعا من الأصوات وأشد تعبيرا وأكثر إيحاء في أقل وقت**" ويبرهن رسو في هذا السياق ويضيف "لم نعد نفقه رموز المصريين، فإن القدماء لم يألفوا التعبير بالألفاظ عن أحر ما كانوا يقولونه بل بالإشارات ما كانوا يبدونه" فالإشارة كانت تخاطب العيون مباشرة[1].

لكن مع مرور الوقت كان لا بد من اختراع أول مؤسسة اجتماعية نقصد بها الكلام الذي لم يكن ناتج عن الحاجات بل عن الأهواء. فاللغة لا تربطها أي صلة بالمنهج والمعقول بل هي حية ومجازية ويوضح لنا روسو أن أصل اللغات ليس سببه حاجات البشر الأولى فمن غير المعقول أن يكون مما يفرق بينهم ما يجمعهم، بل نتيجة الحاجات الأدبية والأهواء والأحاسيس مثل الحب والكره والشفقة والغضب، فإن الطبيعة تملي علينا نبرات وصرخات وأنان تلك هي أقدم الكلمات المخترعة وذاك هو ما جعل اللغات الأولى شادية عاطفته قبل

[1] جان جاك روسو: محاولة في أصل اللغات، ترجمة محمد محجوب ص 8-28.

أن تكون بسيطة منهجية[1] ففي البداية كانت اللغة تعبر عن مشاعر وعواطف الناس ولم يخطر ببالهم أنا يفكروا إلا بمرور الزمن فقد طرأت على اللغة العديد من التغيرات وصولاً إلى حد الارتقاء.

لما أخذت أفكار الناس تنتشر وتزيد وقامت بينهم صلة أشد إحكامًا بحثوا عن حركات أكثر عددًا، وعن لغة أعظم اتساعا وهنا بدأت اللغة بتطور وأكثر انتشارا، فزادوا املاءات الصوت وأضافوا إليه من الحركات ما هو أكثر تعبيرا وما يكون معناه أقل توافقا على تحديد سابق، وبالحركات يعبر إذن عن الأشياء المنظورة و المتحركة وبالأصوات المعائلة يعبر عن الأشياء التي كانت تقرع السمع ولاحقا تم استبدال مفاصل الصوت وتمثيلها جميعها كإشارات مصطلح عليها، واستبدال كهذا لا يمكن أن يتم بالاتفاق عام، ويجب أن يرى أن الكلمات الأولى التي استعملها الناس قد انطوت في روحها على معنى أكثر اتساعا بما لم يكن للكلمات التي تستعمل في اللغات القائمة، وبمرور الزمن ارتبط الفكر باللغة وأصبحا يكملان بعضهما، إن الأفكار العامة لا يمكن أن تدخل في النفس من غير مساعدة الكلمات، ولا يمكن آن ينالها للإدراك من غير جمل؛ وهذا هو أحد الأسباب في عجز الحيوانات عن تكوين مثل هذه الأفكار واكتساب ما يتوقف عليها من كمال[2].

[1] المصدر نفسه، ص 33-34

[2] جان جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، ترجمة، عادل زعيتر، ص44-45.

فلغة الحيوان فطرية غريزية وبيولوجية محصنة بينما لغة الإنسان تحتوي على تعابير اصطلاحية، فاللغة مرت بالعديد من المراحل عبر الزمن مما أدى إلى تطورها ورقيها فأصبحت لغة الإنسان لا تنحصر على المجال البيولوجي بل تعدته الى البعد النفسي والاجتماعي والعقلي فهي تعبر عن كل ما يعثر به النفس كل ما يفكر به الشخص وهنا نلتمس بأن اللغة والفكر ارتبطا فيما بينهما وأصبح وجهان لعملة واحدة.

3- الملكية:

إن مسألة الملكية أحدثت جدلا كبيرا في المجتمع الأوروبي، إذ جاء جان جاك روسو بآراء مخالفة قامت بزعزعة أسس ومبادئ النظام الأوروبي؛ حيث اعتبر روسو أن البشر في حالتهم الطبيعية كانوا يعيشون في أمن وسلام ويتمتعون بحريتهم الكاملة دون استغلال بعضهم لبعض إلى غاية ظهور الملكية الخاصة التي اعتبرها روسو مصدر عدم المساواة وفي هذه الحالة فقد الفرد استقلاليته فى سياق نفسه يوضح روسو أن بعد ما كان الإنسان حرا مستقلاً أضحى الآن خاضعا عن طائفة من الاحتياجات الجديدة لكل طبيعة ولا سيما أمثاله الدين غدا عبدا لهم من جهة، وإن بدا سيداتهم، فإذا كان غنيا احتاج إلى خدمهم وإذا كان فقيرا احتاج إلى مساعدتهم وما كان توسط الحال ليجعله يستغنى عنهم مطلقا. ففي هذه الحالة أصبح الفرد تابع مقيد وفاقد لحريته كما أفرزت الملكية الخاصة الكثير من المساوئ كالتنافس والتزاحم من ناحية وتضارب المصالح والرغبة الخفية في الانتفاع على حساب

الآخرين من ناحية أخرى. أي أن هذه الشرور كلها أول نتيجة للتملك وموكب لازم للتفاوت الناشئ[1].

نظرا للمساوئ التي نتجت عن الملكية الخاصة كان لا بد من تأسيس عقد يحفظ كرامة وحقوق الأفراد ومن بينهم حق التملك ويكون هذا الأخير مبني على شروط لإجاز حق المستولي الأول على أرض ما وهي:

أولا: ألا تكون هذه الأرض معمورة بأحد.

ثانيا: ألا يستولي الإنسان منها على غير المقدار الضروري لعيشه.

ثالثا: ألا تحاز بمظهر فارغ، بل بالعمل والحرث[2].

جاءت هذه الشروط لوقف الاستغلال وتأطير حق التملك لتسود المساواة بين كل أفراد المجتمع.

يرى جان جاك روسو أن السيادة ونعني بها سادة البلاد والملوك قد جاءوا بقوانين لتأطير الملكية وتتم هذه العمليّة عن طريق المبايعة وهي أن الجماعة إذ تقبض على أموال الأفراد، تبتعد عن اغتصابها، وإنما تضمن لها تصرفا شرعيا وتحول الغضب إلى حق صحيح، والتمتع إلى تملك، وهنالك إذ يعد المتصرفون مؤتمنين على المال العام وإذ تحترم

[1] جان جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق، ص 66

[2] جان جاك روسو: العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي للثقافة والتعليم القاهرة مصر ط1، 2013 ص45

حقوقهم من جميع أعضاء الدولة وتصان بجميع قواها ضد الأجنبي، عن تنازل نافع للجمهور ولا لأنفسهم أكثر من ذلك، فإنهم يكونون قد كسبوا بذلك جميع ما أعطوا، ويسهل تطبيق هذا القول البديع بتفريق ما للسيد والمالك من حقوق على ذات العقار، والنطق البشري الذي حصل بمرور الزمن أدى إلى التحول من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية ألزم المجتمع بتقيد بالأسس ومبادئ جديدة ومغايرة وقوانين مضبوطة تحت عقد سمي بالعقد الاجتماعي. يحفظ حقوق الأفراد وممتلكاتهم ويحتوي على الكثير من المميزات ومن بينها بدء الناس بالاتحاد قبل حيازة شيء وأنهم إذ يستولون فيما بعد على أرض كافية للجميع يتمتعون بها مشاعا، أو يقتسمونها فيما بينهم بالتساوي أو على حسب النسب التي يضعها السيد، بهذا الاكتساب فإن حق كل فرد على عقاره الخاص يكون تابعا دائما لحق الجماعة على الجميع، ولولا هذا لم توجد متانة في الرابطة الاجتماعية والقوة حقيقية في ممارسة السيادة[1]، لا بد من ميثاق لتعزيز العلاقات بين جميع أصناف المجتمع سواء أصحاب العمل أو الخدم ووقف ظاهرة الظلم والاستبداد، وفي هذا السياق يوضح روسو بانه هنالك ملاحظة لابد من نفعها أساسا لجميع النظام الاجتماعي، وذلك أن الميثاق الأساسي بدلا من نقص المساواة الطبيعية يقيم، على العكس مساواة معنوية وشرعية مقام ما قدرت الطبيعة أن تضعه من تفاوت طبيعى بين الناس، وأن الناس إذ يمكن أن يتفاوتوا قوة وذكاء فإنهم يتساوون عهدا وحقا[2].

[1] جان جاك روسو: العقد الاجتماعي – ترجمة عادل زعيتر، مصدر سابق ص46.

[2] مصدر نفسه ص47.

4- الارادة العامـة:

احتلت مكانة الإرادة العامة مكانة عظيمة في الفكر السياسي الروسوي، وهي من أبرز محاور النقاش التي خادها جان جاك روسو، واقتصر مفهومها خاصة على تلك الارادة التي تتجه إلى المصلحة المشتركة، حيث وضعت جميع إرادات الأفراد في مقام واحد مما يسمح بشرعيه كل عمل سياسي يحمل قرار يجسده أغلبية المواطنين وهذا عن طريق التصويت الذي يعتبر مبدأ استشاريا ، وقد عرفها روسو في مؤلفه "الاقتصاد السياسي" بأنها السيد الأول للاقتصاد بل والقاعدة السياسية في كل حكم ليرتقي إلى مستوى القانون والدولة وبغيابها تظل كامل أجهزة الدولة بدون معنى فهي الروح للجسم السياسي[1].

فالإرادة العامة تعبر عن الرغبة لأغلبية أفراد المجتمع مما يؤدي إلى التخلي عن المصالح الشخصية مقابل الصالح العام، وهذا ما يمنع من تفشي الحروب والنزاعات، فالإرادة العامة تهدف لتطبيق والحفاظ على مصلحة الجميع وتوفير رحتهم وسعادتهم، عكس الإرادة الخاصة التي تعبر عن إرادة كل شخص فعند قيامه بالتزامات اتجاه المجتمع فإنه يصدد إطاعة نفسه، بينما الإرادة العامة فهي تشمل مجموعة من الأفراد متصلين مباشرة بالمجتمع وهم يحتوون على مبادئ الخير ويهدفون لتصحيح السلوك الجماعي ككل وهذا لتحقيق

[1] خيدة وردية – نايت قاسي حياة : مفهوم الإرادة العامة عند جان جاك روسو، مذكرة لنيل شهادة ماستر قسم فلسفة – كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر 2014-2015 ص 37

المساواة وضمان الحقوق والحفاظ عن الحريات. للإرادة العامة هي أفضل إرادة بالنسبة لجان جاك روسو[1].

5- الحكم المطلق:

هو نظرية سياسية وشكل من أشكال الحكم يكون فيه شخص واحد له السلطة والسيطرة الكاملة على الدولة، وقد أعطى جان جاك روسو اهمية وحيزا كبيرا لمناقشة هذه المسألة وإبداء رأيه بتحديد مبادئ تؤطر هذه النظرية في حالة تحتم الأمر فيوضح روسو في هذا السياق: "يبدو أنه لا يوجد غير أعظم الأخطار ما يستطيع موازنة خطر تغيير النظام العام ولا يجوز وقف سلطان القوانين المقدس إلا عندما يحيق الخطر بسلامة الوطن، ففي هذه الأحوال النادرة الواضحة يهب إلى السلامة العامة بقرار خاص يفوض أمرها به الأكثر جدارة، وتفويض مثل هذا يمكن أن يقع على وجهتين وفق نوع الخطر"[2]، ففي حالة الضرورة لابد من تعيين رئيس عال تكون له السلطة على جميع القوانين وإيقاف السلطة السيادية لمدة معينة وهذا بموافقة وإرادة الجميع، مر الحكم المطلق بعدة مراحل ومحطات عبر التاريخ ومن أبرز الأمثلة التي جاء بها روسو هو تطبيق هذا الحكم في الجمهورية الرومانية في تلك الحقبة كانوا يرون أن هذا الحكم أو السلطة بمثابة عبء على عاتق من يتقلدها فيسرع في

[1] المرجع نفسه من 38

[2] جان جاك روسو: إعترافات، ترجمة عادل زعيتر، ص 158

إلقاءها عنه ولذلك يقول جان جاك روسو: "إن خطر الهوان لأخطر سوء الاستعمال هو الذي يجعلني أدم هذه الحاكمية العليا الطائشة في الأزمنة الأولى"[1].

لنجاح هذا الحكم لابد من احترام أسسه ومن بينها التقيد بالمدة المعينة له و ينتهى الحكم المطلق بانتهاء الأزمة أو الخطر الذي لحق بالدولة.

المبحث الثالث: مكانة الإنسان في فلسفة روسو

أولا: الطبيعة الإنسانية من منظور روسو

يعتبر جان جاك روسو من أبرز الفلاسفة الذين حاولوا البحث في غياهب الانسان من أجل استكشاف غموض هذا الكائن ولعل معظم مؤلفاته تناولت موضوع الإنسان في أبعاده المختلفة وتمحورت حوله ولقد حاول روسو من خلالها الوقوف على الجوانب المحددة للإنسان دون أن ننسى الدور البارز الذي لعبه روسو في نجاح الثورة الفرنسية إبان عصر الأنوار، هكذا يتضح أننا أمام فيلسوف ساهم بالكثير من أجل استكشاف الإنسان، فالإنسان في نظر روسو كائن فاعل وحر وعاقل تؤثر عليه حواسه وهو الكائن الوحيد المشرف بقوة

[1] المصدر نفسه 159

التفكير، وتكمن حريته في كونه لا يريد إلا ما يوافقه أو ما يبدو له كذلك؛ يتجلى وجود الإنسان في نظر روسو كونه كائن يحس ويفكر ويريد ويتلذذ ويتألم ويحب ويكره وهذه المشاعر توجد بقوة في الإنسان، وحتى يكون الإنسان واثقا من وجوده لابد من تأمله في ذاته، إذ هناك حركات تحدث في الإنسان دُون انقطاع ويستشعرها، كما يرى روسو أن الإنسان كائن واعي معرض للمحسوسات وهذا الأخير هو الذي يُشعر الإنسان بوجوده لكن أسبابها تتجلى خارجه وتؤثر فيه رغما عنه[1].

فالإنسان بحد ذاته يعتريه الكثير من الغموض فهو كائن مركب من مجموعة من المتغيرات تتقارب فيما بينها في بعض الأحيان وتتنافى في الكثير من الأحوال وهو قابل للخضوع للأسباب الخارجية، إلا أن له المقدرة لضبط غرائزه وهذا ما يجعله مختلفا عن باقي الكائنات الأخرى.

يتسيد الإنسان الأرض حسب روسو لأنه هو الكائن الوحيد الذى يستطيع أن يستخدم لأغراضه كل الموجودات ويتصرف في خيراتها بكل مهارة وحتى الكواكب. ورغم بعدها فإنه يمتلكها بالنظر والتأمل وتتميز طبيعة الإنسان بميلها لحب ذاتها، وتنطوي هذه الطبيعة على عنصرين مختلفين:

– أحدهما يدعو إلى حب العدل والفضيلة واقتحام العالم العلوي.

–أما العنصر الثاني يربط الإنسان بذاته السفلي ويجعله أسير حواسه.

[1] لحبيب أيت صالح: كيف استكشف روسو غموض الإنسان/08-www.aljazeera.net 2023

يكون الإنسان فاعلا إذا امتلك القدرة على التمييز، فهو يستطيع الفصل بين المسائل؛ فإذا اختار الخير في سلوكه أصاب الحق في حكمه؛ ومن الضروري رجوع الانسان إلى فطرته الطبيعية[1]، والامتثال لها لأن حكمها لين ومتسامح وبالتالي يشعرنا بالرضى على النفس. يشير روسو إلى أن ضمير الإنسان يطيع الطبيعة والضمير هو صوت الروح، أما الشهوة فهي صوت الجسد وكثيرا ما يخدعنا العقل، فوجب الاحتراز منه، أما الضمير فلا يخدع أبدا وهو الدليل الأمين، مقامه من النفس مقام الغريزة من الجسد من يستنير به يطبع الطبيعة[2]. وعلى الإنسان أن يتحلى بالطيبوية وهكذا يكون له اتصالا مباشرا بالطبيعة كما أنه بوجود هذه الصفة تتجلى الفضيلة، وإن كان الخير خير فوجب عليه أن يكون أولا في قلوبنا وثانيا في أفعالنا التي يحكمها الضمير.

فالضمير غريزة ربانية وصوت علوي لا يخفت، هاد أمين لكائن حامل محتاج، كما أنه نبيه حر، بالضمير يميز الإنسان الخير من الشر ولا يخطئ كما لو كان في مقام الرب لولا الضمير لما أحس بأي تفوق على الحيوان؛ وهو يكلمنا بلغة الطبيعة وهو خجول يفضل العزلة والراحة، يهاب مخالطة الجمهور ويزعجه الضجيج، وتلك الأحكام السوقية التي تمثل

[1] لحبيب أيت صالح: كيف استكشف روسو غموض الإنسان.

[2] جان جاك روسو: دين الفطرة، ترجمة: عبد الله العروي، ص69

الضمير في نظر البعض هي في الحقيقة ألد أعدائه[1]. فهو يمثل الروح العليا وبواسطته نفصل بين الخير والشر، والخير هو شعور مطبوع في الكائن البشري.

أشار روسو إلى أن وجود الانسان يتمثل في شعوره، هذا الأخير سابق على الفكر، ذلك أن الإنسان يشعر قبل أن يفكر، إذ أن الإحساسات والعواطف مطبوعة في الإنسان، والتي تخص الفرد هي حب الذات وتجنب الألم واستفظاع الموت والتطلع إلى السعادة. وإذا كان الإنسان مؤهلا لأن يكون اجتماعي بتعبير روسو فتحقيق ذلك رهين بأن تكون عواطفه مطبوعة تجاه النوع البشري، والشعور الفطري سابق عن الفكر المكتسب والانسان يقصد الخير لا يتعلم بل بعزيمة أودعتها فيه الطبيعة، وفي الأخير قد اعترفت كل الإنسانية بالضمير كأساس الأخلاق[2].

صور روسو البشر بمقاله مقالة في العلوم والفنون " أنهم يعيشون حالة إنسانية، تتميز بأصالتها وسموها فحياة الإنسان البدائي خالية من الضغينة والحقد والكراهية إلى غاية ظهور التملك وتلاشي الأمن والعدالة، لهذا أكد على ضرورة إيجاد حل نهائي لإنهاء خوف الإنسان من أخيه الانسان، وهذا دليل على اهتمام روسو بكل جوانب الإنسان وما يحيط به بدقة والسهر على رقية.

ثانيا: الحاجة إلى العقد الاجتماعي

[1] جان جاك روسو: دين الفطرة، المصدر السابق، ص 78-79.

[2] لحبيب آيت صالح: كيف استكشف روسو غموض الانسان، مرجع سابق.

إن الإنسان بحاجة ضرورية لحلول الأمن والعدل حتى يتمكن من تجاوز حالة الشك والخوف التي عايشها لعقود من الزمن، وحلول العدالة لا يمكن أن يُدرك إلا بوجود سلطة تضمن له حقوقه وتحميه من أي اعتداءات. إذن فالغاية من العقد هي التخلص من المرحلة الثانية من الطبيعة، وهو ما أدى إلى الانتقال إلى إحداث تغيير جذري، فاستعان الانسان بعقله ورشده ولم يعد خاضعا لغرائزه[1].

كما أنه كان مضطرا للتخلي عن الكثير من الأمور التي كانت تربطه بمرحلته الأولى مقابل اكتساب منافع جديدة تتعلق بحياته المدنية وهذا لا يعنى أنه يتخلى عن حريته بالكامل بل اكتسب شكلا آخر من الحرية في ظل الدولة، والحرية الجديدة هي الحرية المدنية المقيدة بالإرادة العامة، ويشارك في صياغة القانون الذي يحكمه وبذلك يكون الإنسان سيد نفسه، وتكمن حرية الإنسان في تطبيقه واحترامه للقانون وتكون الإرادة العامة المرجع الأساسي للدولة التي تهدف لتحقيق المصلحة العامة وهذا لتجنب الطبقية والتفاوت وتحقيق المساواة بين جميع أفراد المجتمع[2].

يوصينا روسو دائما بالعودة إلى طبيعتنا الأولى فالجنس البشري سينحط مع مرور الزمن إذ لم يرجع الناس إلى الطبيعة ويطبقون أسسها على نظم الاجتماعية فهو يؤمن بفضائل الانسان العادي تميزه على الطبقات العليا، والتي تعود الى فطرتنا السليمة.

[1] فرح عبد الغني، الفلسفة الطبيعية عند جان جاك روسو mawdoo3.com 06-08/2023

[2] المرجع نفسه

أكد روسو على أن الإنسان عاش حياة سعيدة في الحالة الطبيعية معتمدا فيها على العاطفة أكثر من اعتماده على العقل فهو يسبب الكثير من الشقاء والمعاناة له على فطرتنا والحالة الي كان يعيشها الإنسان البدائي وفي عبارة عن حياة بسيطة توفر له حاجاته الضرورية من الطعام وتحميه من البرد القارص والحرارة إلى أن حاول التغيير في حياته التي ارتبطت بظهور التفاوت بين الناس وانتشار مختلف الشرور وانتشر في هذه المرحلة الاستبداد والاستغلال وفرض سلطة الأغنياء على الفقراء، وكان التخلص من كل هذه المظاهر التي سادت المجتمع لابد هي تأسيس عقد اجتماعي وهذا لإعطاء لكل ذي حق حقه وقد جعل روسو الحرية مبدأ مقدس، وتساهم القوانين في اقرار مبدأ المساواة والعدل بين الناس، وطاعة القانون الذي نضعه لأنفسنا هو الحرية، هذه الفكرة تتفق مع المبدأ الكانطي. وموقفه من مسألة الحرية ولهذا يبقى من واجب الإنسان أن يناضل من أجل تحقيق حريته وفق القوانين المدنية. وتبقى رغبات الطبيعة استعدادا يجعل من ذات الفرد متكاملة تنشد التوازن في الأشياء[1].

[1] بن صابر محمد بن حليلم شوقي: الإنسان عند جان جاك روسو، ص 637،

نتائج الفصل الأول

– مرّ جان جاك روسو بعدة مراحل في حياته بداية من وفاة والدته إلى هجرته وإلى غاية مرضه وبالتالي أدت هذه المراحل إلى تأسيس شخصيته واختلاف أفكاره ووجهات نظره وهذا ما جعله يساهم بأفكار ومبادئ، جديدة غيّرت الكثير من المفاهيم والأسس في المجتمع الأوروبي وهذا عن طريق مؤلفاته الكثيرة والمختلفه في كافة المجالات السياسية التربوية الدينية وغيرها والتي كان لها صدى على المجتمع الأوروبي.

– قام روسو بمعالجة العديد من المواضيع الفلسفية بطريقة مختلفة عن الذين سبقوه من الفلاسفة والمفكرين فقد حملت هذه المواضيع بصمته الخاصة التي تميزت الكثير من المفاهيم والتصورات وأعطى روسو علو لا تحمل صيغة جديدة لقضايا كانت تشغل الرأي العام الأوروبي وبمنظور مختلف وهذا ما أدى إلى تغيير الفكر الأوروبي وتحريره من كافة القيود .

– أعتبر موضوع الإنسان من أبرز اهتمامات جان جاك روسو فقد اهتم بكل ما يخصه من قيم ومبادئ وفضائل كما أنه رعى كل حاجات الفرد واهتماماته الدينية السياسية الأخلاقية الجمالية الفنية في دولة ضمن مشروع عقد اجتماعي كما أنه أكد على رجوع الإنسان إلى فطرته السليمة، إن اهتمام روسو كان يهدف تحقيق سعادة للإنسان.

الفصل الثاني:
مكانة الحرية في التربية لدى جان جاك روسو وتأثيراتها في المجتمع الإنساني.

تمهيـــد

تعتبر الحرية والتربية من أبرز جوانب الإنسان وهما من أهم الحقوق المتأصلة في الطبيعة البشرية ومن هنا يمكننا ابراز العلاقة التكاملية فى بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة وهذا يذكر أبرز فلاسفة التربية جان جاك روسو والمنادي بالحرية الإنسانية بالرجوع إلى الطبيعة، وقد عرف بإصلاحه لمجتمعه وإصلاح نظامه التربوي وهذا بتأسيس مشروعه التربوي الجديد والذي حمل أطر ومبادئ ومعايير مغايرة في التربية وعلى رأسها الحرية كما أنه سعى لإبراز أهم العناصر الجوهرية في التربية الإنسانية، إضافة إلى بعض القيم التي لم يسبق لها وجود في التقليدية أو الكلاسكية .

المبحث الأول: فلسفة التربية عند روسو وموقع الحرية ضمنها

أولا : مفهوم فلسفة التربية عند روسو:

تنطلق فلسفة التربية لدى جان جاك روسو من مبدأً أن الطفل يولد بدون أي معرفة لكنه يمتلك قدرات طبيعية للتعلم والتربية تأتينا من الطبيعة أو من الناس، أو من الأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلية ذالكم هو التربية الطبيعية، وما نتعلمه من الإفادة من ذلك للنمو فذالكم هو تربية الناس، وما نكتسبه بخبرتنا عن الأشياء التي نتأثر بها فذالكم هو تربية الأشياء؛ ومن خلال ذكر روسو لتربية الأشياء فإنه قسم التربية إلى ثلاثة ضروب: تربية الطبيعية خارجة عن إرادتنا، تربية الأشياء فلا تتدخل تحت تربية سلطاننا الا بمقدار، أما تربية الناس فتلك دون سواها مطبوعة بنا بيد أننا مسيطرين عليها إلا افتراضا، فهي. مقرونة بكل ما يحيط بالطفل من أقوال وأفعال[1]، فالطبيعة تساعد الطفل على نمو جسمه ونمو حواسه وقواه العقلية أما دور المعلم أو المربي فهو إرشاد وتوجيه الطفل إلى الطريقة التي يجب أن يستثمر بها نموه الطبيعي أما ما يخص تربية الأشياء أو الحياة فهي تربينا بما فيها من تجارب وخبرات، ويعتبر روسو أن الطبيعة البشرية هي في الأساس حالة الكمال فالتربية أن تقوم على مبادئ الطبيعة وليس على القواعد المصطنعة للمجتمع وفي هذا الاطار يقول روسو: "**يخرج كل شيء من يد الخالق صالحا، وكل شيء في أيدي البشر يلحقه**

[1] جان جاك روسو: إميل ترجمة: نظمي لوقا، الشركة العامة للطباعة والنشر، ط1،بيروت لبنان 1958، ص 26

الاضمحلال، يكره الإنسان الأعرض على إثبات ما تخرجه أرض سواها، و يكره الشجرة على حمل ثمار شجرة غيرها يخلط بين الأجواء والعناصر والمواسم؛ ويخصى كلبه وحصانه وعبده، يقلب كل شيء ويشوه كل شيء يحب المسخ والإمساخ، ولا يريد شيئا على الوجه الذي جرته به الطبيعة. حتى ولو كان ما جرته الطبيعة إنسانا مثله! فهو يأبى إلا أن يروض له كأنه جواد ركوب، وأن يصاغ على هواه كأنه شجرة في بستانه"[1].

أكد روسو في مشروعه التربوي على مرجعية الطبيعة عكس التصور الكلاسيكي للتربية والذي تشرعه المؤسسة الدينية المتكونة من الكنيسة ورجال الدين وبعض رجال السياسة، الذين ينظمون المجتمع بكل ما يملكون من سلطة ومؤسسات، فمشروع روسو هو سياسي تربوي ديني بحيث نرى أن إصلاح السياسة مرهون بإصلاح التربية، وإصلاح التربية بنتج لنا مواطن صالح مهنته الحياة، فالناس في الحالة الطبيعية سواسية ومهنتهم المستثمرة أن يكونوا رجالا فليس من الضروري أن ينضم التلميذ مستقبلا للجيش أو الكنيسة أو ان يشتغل بالقانون، فالطبيعة ترشده أولا وقبل كل شيء للحياة الإنسانية، والحياة أهم مهنة يجب تلقينها للتلميذ والطبيعة تعلمه كيف يكون إنسانا[2]، يرى روسو أن دور المجتمع لا يكمن في إنتاج أفراد ذات مهن بل است إنتاج أفراد ينفعون مجتمعهم بصفة خاصة والإنسانية بصفة عامة فلا يجب علينا أن نمنع خيرات هذا الفرد أو الإنسان على الإنسانية جمعاء ويكون هذا المنع

[1] جان جاك روسو: إميل ترجمة: نظمي لوقا، المصدر السابق، ص24

[2] أو بلوش محمد: نظرية التربية عند جان جاك روسو anfasseron08/08/2023

إذا اتبع الفرد أهوائه ومصالحه الشخصية، وإذا اقترنت مصلحة الفرد مع مجتمعه أو الإنسانية كلل يحدث التناقض ويصبح الفرد مغلوبا عن أمره : وهذا ما يجعلنا في تناقض مع ذواتنا وغير قادرين على تقديم الخبر لأنفسنا ولا لمجتمعنا على حد سواء، فتصور روسو للتربية هو تصورا شاملا بمعنى أن الإنسان يربى وينتظر منه مشروع مشترك بين ذاته المستقلة والانسانية للمشتركة التي تحقق المصلحة العامة[1].

يرى روسو أن التربية الحقه تكون بالممارسة أكثر من التلقين فالإنسان يبدأ بالتعلم منذ بداية حياته ومعلمنا الأول هو حاضنتنا وأكد روسو على أن تربية الطفل يجب أن يتولها مرشد واحد والهدف من تربية الإنسان هو التأقلم مع جميع عوارض الحياة البشرية، فإن تغيّر الفصول والمواسم والأحوال في سنن الطبيعية التي لابد من حدوثها فمن الخرق أن ينشأ طفل على أساس حالة ثابتة وظروف لا تتغير، والمراد من التربية هو جعل الإنسان يتعرض على إحساسات الألم؟ تعليم الطفل حماية نفسه حين يضحى رجلا وتقوية قدراته لمواجهة مصيره[2] وعلى المربي أن يتركك خاصة الاستكشاف للطفل وأن لا يشبع فضوله بالإجابة عن كل الأسئلة التي تشغله بل يجب أن يزرع فيه حب الاطلاع والاستكشاف وهذا لوصوله للمعرفة ويجب أن تكون علاقة المربي بالطفل مباشرة أي وجها لوجه وعلى وظيفة التربية أن تنحصر على إزالة كل ما يعيق الطبيعة البشرية الخيرة في النمو الطبيعي للطفل فمن واجب المربي

[1] أو بلوش محمد: نظرية التربية عند جان جاك روسو، المرجع السابق.

[2] جان جاك روسو: إميل. ترجمة: نظمي لوقا، المصدر السابق، ص32-33

أن يعلم الطفل كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت والحياة هي عبارة عن نشاط واستخدام حواسنا وجوارحنا ووظائفنا الحيوية فالحياة تقاس بممارستها وليس بعدد سنواتها، فالإنسان الذي لم يمارس الحياة بنشاطاته يعتبر ميت منذ ولادته ولو عاش مائة سنة ، وكان خيرا له لو غادر الحياة، ميعة فتوته، وقد قيض له أن يعيش حقا تلك السنوات القلائل[1].

فالحياة هي عبارة عن أعمال الانسان وما خلفه من آثار خالدة وما عاشه من تجارب متعددة وما اكتسبه من خبرات وعلى هذا الأساس يوصي روسو المربي علي توجيه الطفل لعيش الحياة بمختلف نشاطاتها ومتغيرتها هذا ما جعل مشروع روسو النقطة الغارقة في المجال التربوي.

يعد مشروع جان جاك روسو التربوي مختلفا عن ما سبق فإنسانية الإنسان في الغاية الأولى من التربية ولا يمكن تحقيقها إلا بوجود البعد الاخلاقي، كما أنه آمن بأن تأسيس المجتمع الفاضل لابد له من إعادة تشكيل الفرد وهذا ما تمركز عليه في كتابه إميل الذي قدم فيه تلميذه النموذجي اميل في صورة إرشادات تربوية والذي أعطى فيه الأولوية لطريقة الاستعمال الأحسن لوسائل الحياة عكس التربية التقليدية التي ركزت على الجانب المعرفي للطفل ولم تهتم بالجانب الإنساني فيه وهذا ما جعل الإنسان يفقد عامل أساسي في إنسانيته كما اهتمت بتزويد العقول بالمعارف النظرية ولم تعطي أي شأن لصناعة أفراد ذوي مشاعر

[1] جان جاك روسو: إميل. ترجمة: نظمي لوقا، المصدر السابق، ص33.

وأحاسيس[1] كما أنها ضحت بحاضر الطفل لصالح مستقبله، وكانت بعيدة كل البعد عن قوانين الطبيعة ويخالف روح الإنسانية وهذا ما أدى لجعل مساوئها أكثر من محاسنها، فالتربية الصحيحة هي التي تكون تشريعاتها مأخوذة من قوانين الطبيعة والطبيعة تضمن لنا المصلحة العامة[2] وهي تساعد مباشرة على تفتح شخصية الطفل وتقوده لتحمل مسؤوليته وأن لا يعتمد على غيره وهذا إما يؤدي إلى تطوره ورقية وبالتالي يترقى مجتمعه، ويكون بهذا يوكب الاستمرارية وهي تعني الحياة فعلى الطفل أن يتربى في أحضان الطبيعة سواء كانت إيجابية أو سلبية[3] ففي الأخير هي التي تكون شخصيته.

أكد روسو على التربية السلبية وتعنى تجنب إجبار الأطفال على تصرفات معينة أو التدخل في تطورهم الطبيعي وعلى المربي أن يترك الطفل يستكشف العالم الخاص به وأن يدرك بنفسه الأشياء المحيطة به وهذا بالتأثر الناتج عن الحوادث والوقائع الي عاشها ولو كانت مسببة له بعض الآلام والمعانات لكن دون تشكل خطر من حياته، كما أنه رفض تقييد الأطفال بالقواعد الصارمة والابتعاد عن التلقين والتعلم عند أغلبية الناس هو تلقين الطفل الصور اللفظية التي تعبر عن الصور الحسية في الواقع وهذا نوع من التعليم الغير الصحيح لأن الطفل لم يحس بهذه الأشياء فيزيولوجيا بل يجب ممارستها على الطبيعة فالتجربة هي

[1] عبد الرحمان كييش: مفهوم التربية عند جان جاك روسو، مجلة متون الجزائر2 بوزريعة الجزائر العدد3: 2022 ص 121

[2] المرجع نفسه من 122

[3] سعيد رضا مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو ص112

المصدر الأساسي لتعليم الطفل في التربية الأولى وعلى التجربة أن تكون خالصة بدون تدخل المربي في سلوكات الطفل بل مراقبته من بعيد ولا يكون التدخل الا في حالة خطر الموت، هذا لاكتشاف المزاج الخاص للطفل[1].

1- ميولات الطفل ورغباته:

يؤكد روسو على أن من الواجب في العملية التربوية مراعاة ميول ورغبات الطفل في كل مرحلة من مراحل نموه فقد أظهرت الدراسات النفسية أن عالم الطفل ينقسم إلى مراحل وكل مرحلة تتصف بمميزاتها الخاصة وهى تمهد للمرحلة الاتية بعدها، فعلى المربي أن يهتم بمصلحهم ويقوم بتطوير مهاراتهم الخاصة وتنمية موهبهم وضرورة التمييز بين كل مرحلة من عمر الطفل وإعطائه حقه في اللهو واللعب فقد يرى روسو انه من الواجب حب الطفولة ومودة لهوها وملذاتها وطبيعتها اللطيفة وهذه إشارة من أجل تربية الطفل حسب أهوائه ورغباته، كما أنه وجب علينا أن لا نكبح جماح حرية الطفل بتربيته على مهنة معينة كقسيس أو قاضي، بل إعطائه كل الحرية في اختيار مطالعه وإعداده للحياة ليكون إنسانا[2] وهنا نقصد الانسانية بكل ما تحمله من معنى أي الإنسانية الحقة

[1] سعيد رضا، مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو، مرجع سابق ص113.

[2] المرجع نفسه 114-115

2- التربية الأخلاقية والدينية للطفل:

يرى روسو أن التربية بعد ما كانت جسمية مادية للطفل تتطور إلى الجانب النفسي لإحداث التوافق بين الروح والجسد فالعقل السليم في الجسم السليم، وفي هذه المرحلة يتم تكوين أبرز الصفات الخلقية كالشجاعة والصبر عن المعاناة والآلام النفسية والجسمية والاعتماد على الذات واحترام الحقوق المتبادلة، ويكون ذلك عن طريق الخبرات المكتسبة من الحياة الاجتماعية وهذا ما ينمي القدرات العقلية للطفل ويرفع روح المبادرة عنده وبهذا نكون قد رسمنا له الطريق الصحيح نحو التربية الدينية. بحيث أكد روسو على أن التربية الخلقية تسبق التربية الدينية والطفل الذي يكون متشبعاً بالقيم الخلقية يحس بمطلقيتها وهذا نوع من الشعور بالحرية[1] وفى هذا السياق يقول جان جاك روسو "**إن أنوار العقل لا تستطيع أن تتعدى بنا حدود الدين الطبيعي، وهذا اما سأكتفى به مع تلميذي إميل، وإن وجب أن يكون . له دين آخر غير دينه فليس من حقي أن أكون مرشده، بل له وحده أن يختار ذلك بنفسه**"[2] فالإنسان المتكامل يحتوى القيم الأخلاقية والدينية معا.

3- مراحل التربية وأبعادها

تقوم التربية السالبة على مبدأ التدرج الطبيعي في نمو الأشياء وعلى هذا الأساس أحدث روسو مسارا تدريجيا يتمثل في مراحل نمو الطفل.

[1] سعيد رضا، مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو، المرجع السابق، ص 115

[2] المرجع نفسه ص 115

المرحلة الأولى: وهي الفترة الأولى من الطفولة إلى غاية خمس سنوات وهي موضوع قسم الأول من كتابه إميل التي تعبر عن التربية الطبيعية وتتجلى فيها الحركة الجسدية والالتزام بحق الطفل في الرضاعة الطبيعية كما أنه رفض جان جاك روسو الاستعانة بالمربية مستأجرة لتربية الطفل.

المرحلة الثانية تمتد من الخامسة إلى سن الثانية عشر وهي تعد من أصعب المراحل لأنها تتمحور على عناصر جوهرية ومنها تربية الحواس بالتجربة والتواصل المباشر مع الطبيعة وتربية البدن تكون لها الأسبقية عن تربية العقل وهنا يكون استعمال منهج الطبيعية في تربية التلميذ ومنها أيضا التربية بالجزاء الطبيعي أي أن الأشياء الطبيعية حاملة في ذاتها كل من الجزاء والعقاب ويطبق هذا عن طريق الخبرة وحدها[1].

المرحلة الثالثة تبدأ من السن الثانية عشر إلى الخامسة عشر وفي هذه المرحلة تتأسس التربية الذهنية عن طريق الملاحظة في الطبيعة وترجمة الأحاسيس إلى أفكار وهنا تتجسد حرية الاكتشاف للوصول الى المعرفة وبالتالي تصل الى التحرر العقلي أو الفكري.

المرحلة الرابعة وهي التي تمتد من الخامسة عشر إلى سن العشرين، وتمثل سن المراهقة وهي تربيه أخلاقية دينية هدفها نزع الأنانية من النفس وتعويضها بعواطف الرحمة والمودة والرأفة في قلب الطفل ومنحه حرية الاعتقاد والاختيار دين الذي يرغب به كما أن روسو

[1] عبد الرحمان كيش: مفهوم التربية الطبيعية عدد جان جاك روسو، المرجع السابق، ص126-127

اقترح دين أسماه بالدين المدني وهو يتراكب من العناصر المدنية والدينية معا وبهذا يتحقق الاندماج الاجتماعي وعليه نكون قد جعلنا من الطفل إنسانا مواطناً ومتدينا في نفس الوقت[1].

4- تربية المرأة:

تحدث روسو عن أهمية هذا الموضوع في الجزء الخامس من كتابه التربوي: إميل والذي مثل فيه المرأة بإسم صوفى، فوجب عليها أن لا تخرج عن طبيعتها التي خلقت عليها وأن تعمل في بيتها وتطيع زوجها فتربية المرأة تكون على حسب وظيفتها في الحياة ومراعاة الاختلاف بين الرجل والمرأة في العملية التربوية وهذا الاختلاف طبيعي من أجل انسجام بينهما دوات الإستمرارية الحياة[2].

5- الهدف من التربية

أكد روسو على أن الهدف من التربية هو تكوين إنسان كامل متصل بجميع مسائل الحياة ومعضلاتها ويقوم بتجاوز مشكلاتها وأن يثمن القيمة الإنسانية فالهدف هو رقي الإنسان وإزالة كل المعيقات التي تمنع تطور الطبيعة الإنسانية والابتعاد عن كل الأمور التي تؤثر على الطفل تأثيرا سيئا ومحيطه الدي يفسده من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والمراد هو الحصول على الحرية والفضيلة فعلى الإنسان أن يكون مواطنا وعلى المواطن أن يكون حرا والحرية لا تكون الا بوجود الفضيلة كما انه يؤكد روسو أن شقاء أتى

[1] عبد الرحمان كيش: مفهوم التربية الطبيعية عدد جان جاك روسو، المرجع السابق، ص 128-129.

[2] سعيد رضا مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو ص 116

من المدن والحضارات ولهذا يفضل تربية الريف، ووجب على التربية أن تجعل من الطفل إنسانا تستفيد منه الجمهورية ككل وأن يخدم المصلحة العامة لا المصلحة الشخصية، ويجب على الإنسان أن يطابق فعله قوله وعليه أن يعمل يكل جهد ومثابرة[1] يضيف روسو ان طبيعة قادرة على محاربة كل الفساد الذي نتج عن أنماط ثقافية مبتذلة التي تسببت في شقاء البشر، كما أنه أوصى بالتربية الموحدة بواسطة التعليم. فلتحقيق المساواة لابد أن يكون القانون يعبر عن الإرادة العامة وعلى الحكومة أن تمنح تعليما حقا لجميع الأطفال لتحقيق المساواة حتى يعتاد الأطفال على المبادئ الديمقراطية وهنا تكون قد تخلصنا تغيير من أكبر معضلة يعيشها المجتمع وهي الطبقية ولهذا قدم روسو آسس ومبادىء في تربية يمكنها الكثير من المساوئ في مختلف المجتمعات[2].

ثانيا : موقع الحرية من فلسفة روسو التربوية

تعتبر الحرية جوهر الوجود الإنساني وهي من أبرز مطالب حقوق الإنسان وتعد من أهم المواضيع التي شغلت الفلاسفة والفكر الفلسفي ككل منذ بداية الاهتمام بالمسائل الإنسانية وهي ذات قيمة ساميّة تهدف لتحقيقها في مختلف مجالات الإنسان، فالحرية لا تنحصر على المجال السياسي بل تتعدى كافة الميادين وعلى رأسها مجال التربية والذي

[1] محمد أو بلوش : نظرية الشرقية عند جان جاك روسو :anfasseron08/08/2023

[2] المرجع نفسه

جعل أساس مبادئه الحرية[1]. عمل روسو على اصلاح مجتمعه وأنظمته لأن فساد المجتمع يؤدي بالضرورة لإفساد النظام التربوي ولهذا قام روسو بمعالجة النظام التربوي والاجتماعي على حد سواء، كما اعتبر روسو معنى للأمن والسلام في ظل حياة يملأها الاستغلال والاستبداد والعيش بدون حرية، فالكرامة الإنسانية تكون متشبعة بالحرية فهي تمثل القيمة الأسمى وعند فقدانها يقاوم الإنسان ويحارب من أجل استرجاعها وتحقيقها ويكمن سمو الحرية في ظل نظام ديمقراطي صحيح الذي يمثل الإرادة العامة التي تهدف لتحقيق مجتمعا صالحا وعليه اعتبر روسو أن التربية الصالحة هي التي تسعى لتحقيق المصلحة العامة وتكون بتربية الأفراد تربية تجعلهم متحدين فيما بينهم في ظل نظام مدني وتغليب المصلحة المشتركة وبهذا يتم القضاء على الطبقية وانتشار سلطة الأقوياء على الضعفاء وبالتالي تتحقق حماية حقوق الأفراء السياسية والمدنية ويعيش الإنسان حرا، يرى روسو انه من أجل تحقيق الحرية التي رغيت فيها الطبقة المتوسطة تكون في الفرد بواسطة التربية، وتكون في الدولة بواسطة حكومة صحيحة ومنظمة[2].

يرى روسو أن هنالك الكثير من القيم الاجتماعية السائدة في المدن تقوم بتقييد الإنسان منذ ولادته فهو يعيش ويموت في رق العبودية حينما يقومون يتقميطه وعند موته يسمرون عليه تابوتا وما دام على قيد الحياة فهو مكبل بمختلف النظم. فالطفل يجب أن يكون حرا

[1] تيرس حبيبة : مبدأ الحرية في التربية عند جون جاك روسو، مجلة للراصد العلمي جامعة وهران 1 أحمد بن بلة بوهران الجزائر، العدد 2019,10 ص93-94

[2] المرجع نفسه ص 95-96

عند ولادته وأن لا نحبس حركته وعليه تكون الحرية حق طبيعي قبل أن تكون حق مدني، إن الطفل من بداية مرحلته الأولى وهو يعاني من فرض القيود والعبودية وتكون عبارة عن تقاليد وطقوس مسيحيّة والتي كانت تسطير على المنظومة التربوية أنذاك وهذا ما جعل الحرية مفقودة في المجتمع ككل، إن ما يتعرص له الطفل من ضغوطات تؤثر على مزاجه وفى الام فيشعر بوجود عوائق لحريته الذي هو بحاجة ماسة لها فيعبر بالصراخ؛ فالحرية عند جان جاك روسو المعبر الوحيد في التربية للوصول إلى التعاقد الاجتماعي، فعلى الإنسان أن يعيش في مجتمعا لا بد أن يتبع نظام تربية يسمح له بالاحتفاظ ببراءة الحالة الطبيعية وأن يسود مجتمعه المساواة والحرية اللتان كانوا يتمتعوا بهما الحالة الطبيعية[1] وقد أكد روسو على أنه لا يمكننا الحديث عن المواطن بدون الاهتمام بمجال التربية وهنا يكون رابط الحرية موجود بينهما، والتربية مشروع له امتداد سياسي واجتماعي، وهي تصنع إنساناً ومواطنا صالحا يتمتع بكل حريته يرفض تقييده ولا يفرض قيود على غيره وهنا إشارة على الدور المهم للحرية في التربية ويتبين الخيط الرابط بينهما فعندما يتحرر التلميذ من معتقداته الغير السوية فيتحقق التحرر الفكري في مجتمعه را يتخلص من قيوده[2].

إن الحرية في التربية هي أن يفعل الإنسان ما يريده وما يرغب فيه وأن لا يتحمل الشخص ما لا يطيقه ولا يقدر على تنفيذه؛ فالفعل الحر ينتج من إرادة الفعل وقوة تنفيذه

[1] محمد أويلوش، نظرية التربية عند جان جاك روسو anfasseron08/08/2023

[2] المرجع نفسه

فالحرية في التربية مرتبطة مباشرة بالمربي وهذا لاحتكاكه المباشر بالطفل، وتعتبر الحرية حق طبيعي لكل إنسان باعتباره ولد حرا والتربية التقليدية والاجتماعية قامت باستعباده وتشويه طبيعته بالانحلال[1]؛ وعلى هذا الأساس تبنى روسو النزعة النقدية تجاه التربية الكلاسيكية وأساليبها الخاطئة لأنها أهملت أهم حقوق الإنسانية وهى الحرية، إن نمو ملكات الطفل يعتمد وبدرجة أولى على مقدار الحرية التي تمنحها له من أجل إبراز إمكانياته وطاقته التي تتمثل بما يقوم من أفعال واعمال ونشاطات فيها من دروس على يد الطبيعة مباشرة دون تدخل أي وسائط وهذا ما يري لديه الضمير وملكة للتفكير والقياس؛ فمن الضروري تواجد الحرية في التربية، فمن الواجب منح الطفل مساحته الخاصة في التعليم وتعويده على الاستقلالية وأن لا يحرم من حريته الحقيقية وأن تكون مبدأه الأول في الحياة وأن يكون رفضا للعيش في عرق العبودية ولا يسمح بالخضوع أو الانحصار أو الضيق ويكون بعيد كل البعد عن مظاهر الاستغلال، فعليه أن يتمتع بالقدرة على استعمال كامل قواه وبالتالي التمتع بالعربية الكاملة وبذلك يكون سيد نفسه وبهذا تكون له القدرة على مواجهة الأمور والصعبات التي تعتري حياته انطلاقا من نفسه وبكل حريته، فهو قادر في جميع الأمور على العمل بمشيئته[2].

[1] محمد أويلوش، نظرية التربية عند جان جاك روسو، المرجع السابق.

[2] تيرس حبيبة: مبدأ الحرية عند جون جاك روسو، المرجع السابق، ص 97-99

يوصي بموجب حرية الأفراد وأن يعيش واقعهم بصورة مباشرة هذا ما يشجعهم على روح العمل واكتساب الفضائل الأخلاقية، فمن الأنانية أن يسيطر المعلم على معظم العملية التربوية والتعلمية ولا يترك لتلميذه حرية الاستكشاف التي تطور منه وتساهم في تطوير المنظومة التربوية بصفة عامة، فحرية ممارسة الفضائل في أرض الواقع كإعطاء الصدقات وإلغاء الغبن عن المظلومين لها منظور خاص في التربية، فهي تساهم في تكوين ضمير أخلاقي عملي عكس النظريات الأخلاقية التي لا يستشعرها التلميذ؛ فإكتساب ضمير أخلاقى عملي يسع جميع الناس ويلغي كل الفرقات الجنسية أو الدينية أو الوطنيه ويساعد في التعاون بين جميع أفراد المجتمع دون النظر لجنسيتهم أو أسمائهم والهدف هو تحقيق الخير لكافة الإنسانية وهذا يدل على أرقى معاني الديمقراطية في التربية وعليه يتم زرع حب الإنسانية في الطفل والتلميذ، وهنا تظهر النزعة الإنسانية في نظرية جان جاك روسو والتي تدعو إلى احترام الإنسان وحفظ حقوقه ومن أبرزها الحق في الحرية والمساواة فقد رقد روسو التمييز بين الطبقات المجتمعية لان كل الأفراد ينتمون لجنس البشرية وهذه أبرز أسس التربية الديمقراطية التي نادى بها روسو واحترام الطفولة وحريتها لأنها لينة المجتمع فبتحرير الطفولة نكون قد أيقضنا فيها طبيعتها اللطيفة[1].

يعتبر هدف روسو من إحداث تغيرات جدريه في مناهج التربية وتأسيس مشروعا تربويا جديدا هو إحداث قطيعة مع أساليب التربية الكلاسيكية التي تقوم على استعمال الإلزام

[1] تيرس حبيبة: مبدأ الحرية عند جون جاك روسو، المرجع السابق ص 8

والإكراه وهو شكل من أشكال الاستبداد، وتعويضها بمناهج جديدة تتلائم مع طبيعة الإنسان وموضوع التربية وباعتبار الحرية هي ماهية للإنسان وطبيعته الراسخة فكان من واجب التربية الصحيحة أن تراعي هذه الحقيقة وبذلك نكون قد حفظنا حق الطفل ، فالإنسان كائن روحي قبل أن يكون مادي وهذا ما يدل على حرص جان جاك روسو على ربط التربية بالقيم الأخلاقيّة وهذا ما يحصل الطفل ينمو نمو سليما، وتعد ذلك الخيط الذي يصل بين كافة مراحل التربية المختلفة من غير تناقضات[1].

فمشروع روسو يعد الفاصل بين التربية الكلاسيكية والتربية الحديثة، فالحرية أبرز أساسيات مشروعه، يعد أساسي في تربية جان جاك روسو فقد قام بخلق رابطة متينة بين الحرية وتربيته كما أنه ربط الحرية بأعز ما يملكه الإنسان وهي الكرامة الإنسانية وجعلها حق أساسي من حقوق الطفل والفرد والإنسانية جمعاء فقد أخذت الحرية مكانة سامية في تربية لدى روسو.

[1] عبد الرحمان كبيش: مفهوم التربية الطبيعية عند جان جاك روسو، المرجع السابق، ص30

المبحث الثاني: تداعيات الحرية وتطبيقاتها على المجتمع الإنساني

أولا : تداعيات الحرية

الحرية تجعل الإنسان سيد نفسه فهو يأخذ قرارته انطلاقا من إرادته بدون فرض أي قوى عليه وهذا ما يعطي للحرية الصفة الإنسانية الجوهرية عند روسو فيقول تخلي المرء عن حريته هو تخل عن صفته كإنسان[1] يعد هذا التخلي عبارة عن تخلي عن إنسانيته وهو يتنافى مع الطبيعة الإنسانية لأنه بهذا يكون قد فقد إرادته وجرد أفعاله من كل الصفات الأخلاقية؛ وهو فعل لا يمكن تقبله ولا يستطيع تصوره إنسان طبيعي فهو غير معقول ، وإذا تخلى كامل الشعب من أهم مبدأ أي الحرية لصالح شخص واحد فهنا يكون غياب الحق، وتظاهر كل مساوئ المجتمع ويسود الاستعباد والفساد، بينما إذا وجد عقدا فهو يحمي جميع حقوق الأفراد وبذلك لا يكنون خاضعين لأحد بل لإرادتهم فقط التي من خلالها تأسس العقد ومن هذا المنطلق هدف روسو الرئيسي هو بناء دولة مبنية على الحرية، فتحقق الحرية يقضي على مظاهر الفساد والتمييز الطبقي، فالحرية مصدرها الإرادة الحرة التي ينفرد بها الإنسان من جميع المخلوقات الأخرى التي تتحكم فيها الطبيعة بينما الإنسان تتحكم الإرادة في أفعاله وإحساسه بروح المسؤوليه وضميره الأخلاقي؛ فالحرية تجعل من الإنسان مبدعا وتؤدي إلى رقي المجتمع لأنه في هذه الحالة يكون هدف الفرد هو تحقيق الصفحة العامة

[1] عزة علامة: الحرية لدى جان جاك روسو mahewar.org 10/08/2023

فيزول الاستبداد وحكم نظام الرجل الواحد، وعليه يصبح الفرد يتجرأ من الكل وتصيح الحرية أساس وجود الإنساني[1]

فالإنسان منذ ولادته تكون له ميولات نحو الحرية ويكون رفضه للقيود عن طريق البكاء ولهذا يرى أن على الانسان أن يعيش حرا منذ ولادته إلى آخر يوم من العمر لأنها قيمة خلقت معه، ويضيف روسو أن الإنسان البدائي في الحالة الطبيعية كان أكثر تحررا فعاش سعيدا، وهذا ما يدل على أن للإنسان في ظل الحرية يعيش سعيدا، لكن مع مرور الزمن فقد جزء كثيرا منها وهذا بسبب الأنظمة الفاسدة التي قضت على عمل مزانا الحالة الطبيعية في فضيلة وسعادة وصفاء التي جاء بدلها الشقاء والبؤس وهنا إشارة على أن الحرية هي التي تصنع لذة الحياة وعليه كان لا بد للإنسان المعاصر من استرجاع حريته باحترامه للقوانين التي تدعو الى العدل والمدنية لاسترجاع جميع حقوقه وضمانها والتخلص من التفاوت بين الناس والتمييز الذي كان يسيطر على المجتمع، وأصبحت أفكاره متحررة فقد لقب الإنسان المتوحش بالإنسان المحترم العادل الذي يسير ضمن القانون. فالناس سواسية مقابل القانون وهذا لا يحد من حريتهم بل يسمو ويرتقي بها لأنهم يهدفون لتحقيق المنفعة العامة، فالحرية تلمي تكمن في احترام كل فرد حقوق غيره فتتجلى الفضيلة في المجتمع ويصبح الإنسان

[1] عزة علامة: الحرية لدى جان جاك روسو، المرجع السابق.

أكثر فضيلة بالرغم من أنه تسير الشهوة ولا تضبطه أنه قواميس وضعية اتجاه غيره[1] وغيره صورة على أسمى القيم.

اعتبر روسو أن الحرية هي مبدأ التفكير وهي قيمة روحية ولا يفقدها الإنسان بخضوعها لسلطة مادية معينة بل حتى لخضوعه لنزاوته وشهواته فهي تعتبر عبودية فالحرية مفهوما واسعا يشمل طبيعة الفرد والمجتمع والانسانية ككل[2]، ولكل أمة من الأمم مفهومها الخاص للحرية وتستمد قيودها من قناعتها الدينية وأعرافها وأخلاقها وعلى حسب نظم التربية التي تحكمها، فتختلف القيود من أمم إلى أخرى من قليلة إلى كثيرة ، فالحرية تحكم الوعي الإنساني وتحرك مشاعره وتقوم بتوجيه أفعاله ، وهي مرتبطة مباشرة بالخبرة الاجتماعية وتعتبر من مقاومات بقاء المجتمعات البشرية ككل، فلا توجد استمرارية الا في ظل الحرية لهذا جربت وكفحت البشرية من أجل اكتسابها، إن الحرية مرت بالعد بد من المراحل في طريقها لتطور بداية من الاستعباد والاسترقاق، وقصرها على فئة دون سواها إلى غاية تثبيتها كحق من حقوق الانسانية وأصبحوا يطلبون به جميع البشر لأنها مرسخة لديهم منذ الطفولة، فهي جزء لا يتجزأ من المشروع التربوي الحديث؛ وقد اتسمت الحرية في الفكر الغربي بسمة بارزة وهي: تحييد وعزل الدين في التدخل على مفهوم الحرية، لا الاهتمام بالحرية الطبيعية

[1] بن صابر محمد، ين حليم شوفي: الإنسان عند جون جاك روسو ص628.

[2] المرجع نفسه، ص629.

بدلا عن الدين ونشأة حرية التفكير وحرية الرأي وحرية التعبير وهي كفيلة للقضاء على الانحراف والتطرف وخلق بيئة حر[1].

إن حرية التفكير كانت لما تدعبات كبيرة على المجتمع الأوروبي وأول ذات ثمارها هي منع منظومة تربوية ذات قاعدة مالية، وتسبق هذه الحرية حرية الرأي لأن الرأي نظرة فكرية لا يكون على صواب، والقكر هو عبارة من نظرة بالبصيرة وهذه الحرية ساهمت في بناء الحضارة وهدا ن طريق تبادل الأفكار وتوريتها فهي الطبيعي أن حضارة كل أمة من صنع جيل واحد بل يتعاقب الأجيال ويكون هذا بالتحرير الجماعي للفكر وعليه تزداد نسبة المفكرين فيستغلون هذه الميزة في تطوير مجتمعهم من الحسن إلى الأحسن وترقية مجالهم التعليمي؛ فالمعرفة حق طبيعي لكل فرد، والتعليم هو الوسيلة للحصول على المعرفة وعلى الجميع أن يتحصل عليها بالقدر الذي يحتجونه وبأسلوب يناسبهم، فالمفهوم الصحيح لحرية التعليم هو أن يتعلم الفرد كل ما يوده وما يناسب فكره وأن يعلم غيره وهذا بمساعدته في البحث والاكتشاف وبذلك يسود العلم المجتمع كله تحت مبدأ الديمقراطية التي تتبع المعرفة الجميع دون استثناء أو إقصاء فئة على حساب فئة أخرى[2] وقد أكد روسو على أن الناس جميعا سواسية ورفض أن يكون الدين سببا في تفرقة بين البشر فروح الإنسانية أعلى من كل التفرقات وعليه يؤكد روسو أنه لا تنقى غير دين الانسان، وهذا ما أكده الانجيل واعترف به،

[1] رحاب زيد على سالم : الحرية في المجتمعات الغربية والعربية11/08/2023sélectionner texte

[2] المرجع نفسه.

فالناس الدين هم أبناء رب واحد بأنهم إخوة جميعا، ولا ينحل المجتمع الذي يوجد بينهم حتى القتل[1] فوجب فصل الدين عن الدولة والرباط الاجتماعي يجب آن يكون قويا و يجب أن تخترقه لا الفتن الدينية التي تسبت في السابق فالكثير من الحروب والمعارك وجعل الإنسانية أول شعارتنا والحرية أول مبادئنا

تعتبر الحرية وسيلة الإنسان التي يحقق من خلالها أهدافه ورغباته كما أنها تجعله قادرا على انتقاد كل ما يزعجه من حوله بكل ثقة وتساعده على الوصول للحقيقة واكتشافها، والحرية هي جزء من الجانب النفسي والجسدي الإنساني فهو يستطيع التعبير عن أحاسيسه بأريحية ومن غير أي قيود وهكذا يكون قد حفظ على إنسانية الطبيعية وعزز قدراته التي تنمو من خلال الطبيعة التي تعتبر أكبر عون للعقل على تشكيل شخصيته وتعوده على المسؤولية والاستقلالية[2]، فالحرية تنمى الطبيعة الإنسانية وتيقظ فيه فطرته السليمة فهي تعمل علي تغير الإنسان للأحسن فقد ربط، جان جاك روسو الحرية بالإصلاح لأن عند تحقيقها تتلاشى كل العراقيل التي من شأنها إفساد الفرد أو الجماعة بصفة عامة فهي تعد المحرك الأساسي للمجتمع وهي مرتبطة بكل الجوانب التي تحيط بالإنسان، ويرى روسو ان الحرية الحقة تتجسد في الطبيعة لأنها تحمل الخير والفضيلة وهي بعيدة في كل الشرور التي

[1] جان جاك روسو العقد الاجتماعي : ترجمة عادل زعيتر، المرجع السابق، ص 167

[2] تيرس حبيبة : مبدأ الحرية في التربية عند جون جاك روسو، المرجع السابق، ص 94

تفسد الفرد ومجتمعه فهي حاملة لطابع البراءة، والحرية تقضي على كل العوائق النفسية والجسمية وبالتالي ترجع إلى طبيعتنا البريئة[1].

ثانيا: تطبيقات الحرية على المجتمع الإنساني

تعتبر الحرية ملاك الحياة الإنسانية ولا تخلقها الشرائح بل تنظمها لها أنها لا توجد ما القوانين، بل تعمل على توفق بين شتى مناجيها، فقد نادى روسو بتطبيق الحرية في جميع المجالات التي تخص الإنسان وجعلها حق من حقوقه، وعليه تم تأسيس منظمات منادية بحريته وحقوقه، كما تم تدوين هذا الحق في المواثيق والمعاهدات من قبل هيئات دولية، وقد نتج عن تطبيق هذه القوانين من قبل المنظمات إلى فتح الحرية على العديد من المجالات كالحرية السياسية وحرية التعلم وحرية العمل والاقتصاد وحرية الرأي والحرية الصحفية والإعلامية وبهذا يسمو المجتمع ويترقى ويشعر الفرد بحريته الكاملة، فالحرية الشخصية تتمثل في حرية الفرد ذاته من كل القيود والظلم والاستغلال والاستعباد وحرية امتلاكه لإنجازاته الناتجة عن نشاطه والتصرف فيما يملكه بكل حرية هذه تتمثل حقوقة المادية بينها حقوقه المعنوية فإنها تمثل في الحريّة الدينية وتشمل كل من حرية العقيدة والعبادة وممارسة الشعائر، وتعني أن يتصرف الشخصي على حسب رغباته وبكل إرادته[2] دون تعرضه لأشكال الضغط التي تحرمه حقوقه الطبيعية فقد رفض روسو أن يعيش الإنسان ويموت في

[1] تيرس حبيبة : مبدأ الحرية في التربية عند جون جاك روسو، المرجع السابق، ص99.

[2] رحاب زيد على سالم زيد: الحرية في المجتمعات الغربية والعربية مرجع سابق.

رق العبودية تحت سلطة القوى اعلى أن يجبر على فعل بدون إرادته؛ لأنه لا يجب تكبيل إرادة إنسان لأنها تعبر عن إنسانيته وعليه أن يبتعد عن ضروب من الخضوع والانحصار لا الضيق[1] فعلى الإنسان أن يتمتع بأبرز حق من حقوقه وهي حريته الشخصية.

إن أبرز تطبيق للحرية في حق الإنسان في تقرير مصيره. إضافة إلى حقوق مثل حق اتخاذ القرارات الشخصية وتعبر هذه عن طاقة الفرد لنفسه، فتطبيق الحرية يولد حفظ الكرامة الإنسان، فالإنسان كائنا حرا وهو قادر على فعل كل ما يريد، لا مقيد ولا مسجوناً، وهو يحيا بالحرية، لكن تطبيق هذه الحرية أن لا يمس بأمن المجتمع لان حق الأمن يكون مضمونا وهو حق للإنسان في الحماية من الاعتدائات باعتقالهم ومعاقبتهم[2].

إن المواطن يصبح غير قاضي في الخطر الذي يود القانون أن يعرض نفسه له فإدا كان في مصلحة الدولة أن يموت عرف سوء فعليه أن يموت وهذا لتحقيق الأمن العام وعليه يقول روسو " لكي نكون ضحية قاتل، نوافق على إعدامنا ما صرنا قاتلين[3] فالهدف من تطبيق حق الأمن هو تحقيق السلم والأمان لصالح المجتمع عامة، فالمصلحة العامة نسيق المصلحة الخاصة.

[1] تيرس حبيبة، مبدأ الحرية في تربية مرجع سابق ص 99

[2] رحاب زيد على سالم: الحرية في المجتمعات الغربية والعربية مرجع سابق

[3] جون جاك روسو العقد الاجتماعي – ترجمة عادل زعيتر ص61

إن تحقق الحرية في المجتمعات يعزز التنوع والتفكير الإبداعي وتشجيع كافة الأفراد على تطوير ومهاراتهم وعلى البحث والاستكشاف وخلق مفاهيم جديدة ومتنوعة وهي تتيح لهم الابتكار في كافة المجالات وهذا ما ينمى الأفراد والمجتمع على حد سواء فدسوا كما أنها تعزز المشاركة المدنية والحرية تجعل من الأفراد يشاركون في بناء دولتهم وفي صنع معظم وينا مجتمع القرارات السياسية وهذا من أجل التغيير للأفضل وبناء مجتمع قوي يسوده العدل بالإضافة إلى التنمية الاقتصادية ويكون بتحرير الأفراء في اختيار نشاطاتهم الاقتصادية كما أنها تخلق دور المنافسة بالإضافة إلى الابتكار. إن هذا كله من شأنه أن يساهم في تنمية الاقتصاد وخلق مناصب عمل وبالتالي يتم التعايش السلمي بين جميع أطياف المجتمع والثقافات المختلفة وهذا يعزز التعاون والتعاون بين أفراء المجتمع، عليه يجب أن يكون توازن بين الحرية الفردية و الحرية الجماعية لا يتعرض أي فرد من المجتمع لضرر معين وبهذا يتم حفظ التوازن بين حقوق الأقراد ومصلحة المجتمع[1].

[1] أثر الحرية على الفرد والجماعة.www.ammonnews.net27/08/2023

المبحث الثالث: تأثيرات فلسفة جان جاك روسو التربوية

أولا : تأثير فلسفة روسو على الثورة الفرنسية

تعتبر الثورة الفرنسية من أعظم الثورات التي غيرت الأسس الإنسانية وكانت نتيجة أسباب متعددة وأبرزها العنصرية التي كانت سائدة في تلك المرحلة، بالإضافة إلى الامتيازات الملكية التي كانت توسع من فجوه الطبقية في المجتمع، وكان من أبرز الدعاة إلى الثورة من حيث لا يعلم هو الفيلسوف جان جاك روسو، والثورة تأسست على مجموعة من المبادئ منها: الحرية، الإخاء، المساواة، وما أنه كان يناقض النظام المالكي في حياته ومؤلفاته وهذا ما جعل هذه المؤلفات بمثابة دستور للحياة الجديدة، كما أنه دعا للبساطة في العيش بدلا من الترف الذي يعيشه الملك، بالإضافة إلى التوزيع الغير العادل للثروات وتفضيل طبقة على حساب أخرى، وفرض القيود على العمال واستعبادهم وهنا نعني عمال المصانع فقد واجهوا حالات جديدة لم يواجهوها أسلافهم، وهي الإنتاج ب الآلات: استعمال الحديد والنار بدلا من الأيدي فقاموا بالمطالبة بزيادة أجورهم وتغير مراكزهم الاجتماعية وعلى حسب مطابقته بالإنتاج ولكنهم وجدوا الرفض بالمقابل فثاروا، وعليه تأسست أحزاب العمال والنقابات[1].

مع تعدد الثورات في أوروبا فإن الثورة الفرنسية الكبرى كانت أعظمهم وهي من الطراز الأعلى، فقد انتقلت لغتها إلى أمم أخي وكان شعارها الأول هو الحرية والمساواة، وبما أن

[1] سلامة موسى – كتاب الثورات – مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة, مصر ط1 2015 ص 12

الشعب الفرنسي كان يقرأ لروسو كثيرا، فقد تشيع لأفكاره وخصومه مؤلفه العقد الاجتماعي الذي نادى فيه بحفظ جميع الحقوق واحترام الإنسانية والقضاء على الفروقات الاجتماعية.

كما دعا روسو إلى الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية وكان من مطالب الثورة الفرنسة بالإضافة إلى حريه الفكر والعقيدة ومنا إشارة إلى الأنا أن الثورة الفرنسية بنت نفسها انطلاقا من فكر جان جاك روسو إن أسس وتصورات روسو أعطت قوة للثورة وفى للشعب الفرنسي الذي استرشد بمبادئ طوال القرن التاسع عشر[1].

إن تأسس الجمهورية الفرنسية كان نتاج لتصورات وقناعات روسو. أما مؤلفاته فقد كانت عبارة عن دستور للجمهورية الجديدة، وبما أن الجمهورية أصبح لها وزن ومكانة عالية في المجتمع الأوروبي والمستوى العالمي، فقد تأثرت الكثير من الدول بنهجها وأسسها لسن قوانينها وتطبيقها على مجتمعهم وبهذا يكون قد طبقوا أفكار ونظريات روسوه، وعليه يكون قد تحقق ما كان يطمح له وهو إصلاح الفساد في كافة المجتمعات وحفظ الكرامة الانسانية جمعاء.

[1] سلامة موسى: كتاب الثورات . مرجع سابق من 12

نتائج الثورة الفرنسية

إن نجاح الثورة الفرنسية مقرونا بنتائجها المعتبرة التي ساهمت في رفع قيمة الإنسان والمجتمع سويا ومن أبرزها تأسيس الجمعيات والمنظمات المنادية بحرية الأفراد وحمايتهم، وظهور أحزاب ونقابات تدعو للمساواة بين كافة أطياف المجتمع إضافة إلى الهيئات والمواثيق الدولية التي تدعو لاحترام حقوق الإنسان وحماية أمنه وسلامته.

بالإضافة إلى تحسن العلاقة بين السلطة وأفراد المجتمع أصبحت قراراتها صادرة عن الإرادة العامة ودساتيرها مطابقه لطبيعة المجتمع وأصبحت مشاركة الفرد في السياسة حق من حقوقه.

الحرية السياسية هي ثمرة الثورة الفرنسية وتدعو كل فرد راشد في اختيار السلطة التنفيذية وتكون قائمة على تنفيذ التشريع وتطبيق القانون وعلى رأسها رئيس الدولة وتتم هذه العملية بواسطة ممثلين عن الأمة وتكون الانتخابات هي ضمينة للسلامة والطمأنينة للناخب[1] هذا ما أدى إلى الارتقاء وازدهار الجمهورية الفرنسية ونمو الإبداع والابتكار وخلق مناصب شغل وفتح آفاق جديدة فيما يخص العلوم والأدب والفنون، فأصبح المجتمع أكثر تفتحا وتطورا في ظل الحرية.

[1] سالم رحاب زيد علي: الحرية في المجتمعات الغربية والعربية مجلة بحوث كليه الأداب العدد 124، 2021 ص 12

ثانيا: موقف الفلاسفة من فلسفة روسو التربوية

تعرض روسو إلى نقد العديد من الجوانب في فلسفته، ومن أبرز النقاد الذين تناولوا فلسفته في التربية نذكر:

1/ جون دوي

لقد اعتبر جون ديوي الحرية التي نادى بها روسو متنافية تماما مع مسألة الحرية الحقيقية التي يجب أن تمنح للطفل، لأنها حرية محصورة في إطار العواطف ولذلك الانفعالات والأفعال المستقلة عن الذكاء. كما اعتبر أن روسو بالغ في تحقيق في فردية الطفل بصورة مبالغ فيها، كما أنه أحترم أفكار الطفل إحترما عاطفيا وأهمل تجارب الكبير ومعارفهم، وقد أظهر قيمة الغايات ومعظم الوسائل التي يتضمنها النظام الاجتماعي، فالإنسان مدني بطبعه من المستحيل أن تتم تربيته بواسطة عزله عن المجتمع الذي هو جزء لا يتجزأ آمنه وهو مصدر أساسيا لنموه سواء المعرفي أو الاجتماعي فقد يكون يهذا جعل الفرد مجرد أداة منعزلة لخدمة نفسه أولا وتنازله عن نوع من حقوقه لصالح الأخرين[1]

2/ إيمانويل كانط

ينطلق كانط في نقده لفلسفة روسو من الحالة المدنية باعتبارها حاملة لعناصر إيجابية فيقول قد أغفلها روسو، وما كان يبدو لروسو انحلالا وفسادا يراه رابط شرطا أساسيا ضروريا

[1] بن صابر محمد بن حليلم شوقي الإنسان عند جون جاك روسو ص 638.

لتأسيس الأخلاقية، ويضيف إن إمكانية اقتراف الشر الكامنة تعتبر شرط لتأسيس أخلاقي، ولا يمكن للإنسان من الفعل الغريزي إلى مستوى الأخلاقي[1].

[1] كبيش عبد الرحمان انقد وإستلهام جان جاك روسو مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية جامعة الجزائر عدد 1، 2023 ص 67

نتائج الفصل الثاني

– إن فلسفة التربية عند جان جاك روسو أحدث ثورة على المنظومة التربوية التعلمية بحيث أنها قامت بإصلاحات جدرية شاملة غيرت العديد من الأسس والمفاهيم وأتت بمناهج مغايرة ألمت بكل جوانب الطفل وسعت لتوفير الراحة النفسية والجسمية له، وتوفير له جو ملائم للتعلم والاستكشاف والعمل على تكوين شخصية الطفل المتوازنة بمراعاة إنسانيته وحفظ جميع حقوقه.

– لقد عمل روسو على ربط الحرية بالتربية وجعلها من أولويات مشروعة وهي حق الطفل الطبيعي الذي وجب التمتع به وفي تساهم في نموه الطبيعي بعيدا عن كل القيود والمضايقات فهي تعزز على تطوير مهاراته وتنامي ذكائه كما أنها تعد على الاستقلالية وتحمل المسؤولية وتحفظ كرامته الانسانية الا على هذا الأساس تم تطوير النظام التربوي وإصلاحه وبالتالي تحقق الرقي الاجتماعي.

– إن فلسفه روسو دعت للحرية والمساواة والتحرر الفكري وباحترام كافة حقوق الإنسان . مما أدى إلى تأثر الفرنسين بأفكاره وجعلها دستور لثورتهم فإن المطالب القوية للثورة المستمدة من فكر روسو ساهمت في نجاح الثورة الفرنسية ورسم الصورة التي تستحقها. وتم تأسيس الجمهورية الفرنسية القوية إنطلاقا من تصورات ونظريات جان جاك روسو ولم يكن هذا يخص الجمهورية الفرنسة فقط بل تم إتخاد مبادئ روسو على مستوى المنظمات والهيئات الدولية وسنها في مواثيق لحماية الإنسان، وفي الأخير يمكننا القول أن الثورة الفرنسية نتاج الفكر جان جاك روسو .

الخاتمـــــــــة

في نهاية عملنا هذا نكون قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات التي قد تجيبنا عن الإشكالية التي طرحناها في مقدمة البحث، وإذا ما أردنا أن نجمل هذه النتائج مع بعض أمكننا القول أن فلسفة التربية عند روسو قد شكلت نقطة الفصل بين المدرسة الكلاسيكية والحديثة في التربية، وذلك ما تجسد في ظهور مفاهيم جديدة لم تذكر سابقا، فقد أعطى روسو روحا جديدة للنظام التربوي ككل كما أنه قام بإصلاحات جذرية مست الجانب التربوي والاجتماعي والسياسي، فقد ربط إصلاح للمجتمع بإصلاح التربية باعتبار التربية أول لبنة اجتماعيّة، فقد حمل مشروع روسو التربوي أسس وقيم عليا استمد مبادئه من طبيعة الكائن المتعلم ذاته، أي انطلاقا من حريته.

لقد ربط روسو الحرية بالتربية وجعلها أول مبادئ مشروعه التربوي، ولتحرير المجتمع من القيود والاستعباد كان لابد من البدء بإعطاء الحرية للطفل وتعليمه كيف يكون إنسانا ومواطنا صالحا، ولم يكتفي روسو بجعل الحرية مبدأ من التربية فقط بل أضاف لها صفة الحق وفى أول حق من حقوق الطفل والفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء، فالحرية قيمة سامية مربوطة بكرامة الإنسان ووجوده، ومن الشروط الأساسية فى التربية لدى جان جاك روسو هي احترام إنسانية الطفل والعمل على تعزيزها فالطفل إنسانا قبل أن يكون كائنا مفكر، كما أنه أدخل مفهوما تربويا جديد على منظومة التربية وهو التربية السلبية أي عدم التدخل في النمو الطبيعي للطفل وتجنب فرض القيود عليه وابتعاد المربي عن التلقين بل جعل للطفل يتعلم عن طريق الطبيعة فالطبيعة معلمنا الرئيسي، فعلى الطفل أن يكتشف معرفة الأشياء

بواسطة التجربة واستعمال حواسه، فقد قدس روسو الطبيعة فهي تحمل طابع البراءة فوجب العمل بقوانينها في كافة المجالات سواء تربوية أو اجتماعية أو سياسية.

اهتم روسو بالجانب النفسي للطفل وهذا باعتباره كائنا روحيا قبل أن يكون كائن مادي وهذا ناتج من حرص روسو على التكوين السليم لشخصية الطفل، كما أعطى الأولوية إلى العناصر المهمة في تربية الطفل من تربية الحواس والذهن إلى غاية الأخلاق والدين، وعلى هذا الأساس تتكون شخصية الطفل المتوازنة وكان لتحقيق هذه الغاية لابد من وجود الحرية لربط بين عناصر التربية.

يجب على التربية أن تعرف على أن يكون مسؤول ومستقل في المشاركة في نشاط الحياة الاجتماعية فعليه أن يكون مواطنا يمتاز بالصلاح لكى تسود الفضيلة في المجتمع فقد اعتبر روسو أن التربية الصالحة تكون دائما تهدف إلى تحقيق الخير للصالح العام وهذا بتربية الأفراد على الاتحاد فيها بينهم في ظل النظام المدني، وغرس فيهم روح الديمقراطية وتغليب المصالح المشتركة والقضاء على الطبقية فتسود المساواة؛ فتتحقق الحرية التي لطالما نادى بها أفراد المجتمع وبالتالي ضمان حقوق جميع اطياف المجتمع.

المصادر :

1. جان جاك روسو: العقد الاجتماعي، ترجمة : عادل زعيتر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان ط2، 1995
2. جان جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، ترجمة: عادل زعيتر مؤسسة المتداوي للثقافة والتعليم القاهرة، مصر ،ط 1 2012
3. جان جاك روسو دين الفطرة – ترجمة عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي دار البيضاء المغرب ،ط 1، 2012
4. جان جاك روسو – محاولة في أصل اللغات. ترجمة محمد محبوب: دار النشر للثقافة العامة بغداد العراق، ط1 1984
5. جان جاك روسو، اعترافات – ترجمة مراد حلمي – دار البشير للنشر ط1 ، دمشق سوريا 1997
6. جان جاك روسو: أحلام اليقظة لجوال منفرد، ترجمة ثريا توفيق المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، ط2، 2009
7. جان جاك روسو: إميل ترجمة: نظمي لوقا، الشركة العامة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1958.

المراجع

1. نجيب المشكاوي: جان جاك روسو حياته مؤلفاته وغرمياته، دار الشروق. القاهرة مصر، ط1، 1989 .
2. سلامة موسى – كتاب الثورات – مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة, مصر ط1 2015

المجالات

1. سعيد رضا مسعود طيبي: الأسس العامة للتربية في فكر جان جاك روسو مجلة الرواق للدراسة، العدد 02 بوزريعة الجزائر 2021 .
2. عبد الرحمان كيبيش: مفهوم التربية عند جان جاك روسو، مجلة متون العدد3 الجزائر2، 2022
3. بن صابر محمد، بن حليم شوقي الإنسان عند جان جاك روسو مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية العدد 02 كلية العلوم الاجتماعية وهران، العدد2 ، الجزائر 2021
4. تيرس حبيبة : مبدأ الحرية في التربية عند جون جاك روسو، مجلة للراصد العلمي جامعة وهران 1 العدد 10، الجزائر، 2019.
5. سالم رحاب زيد علي: الحرية في المجتمعات الغربية والعربية مجلة بحوث كليه الأداب العدد 124،مصر 2021

رسائل الجامعية

1. خيدة وردية، نايت قاسي حياة : مفهوم الإرادة العامة عند جان جاك روسو، مذكرة لنيل شهادة ماستر قسم فلسفة – كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر 2015

الإنترنيت

1. لحبيب أيت صالح: كيف استكشف روسو غموض الإنسان على الموقع www.aljazeera.net يوم 2023/08/06
2. فرح عبد الغني، الفلسفة الطبيعية عند جان جاك روسو على الموقع www.mawdoo3.com يوم 2023/08/06
3. ـــــــــــ أثر الحرية على الفرد والجماعة على الموقع www.ammonnews.net.يوم 2023/08/11